بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهدأ محمد ً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذه مباحث فيها بيان الإيمان بالكتب وهو أحد أركان الإيمان، تشتمل على بيان معناه وأحكامه وآ ابه وتفصيل بعض مف داته.

وأصل هذه المباحث محاضرات ألقيتها في مقرر (الإيمان بالكتب) من منهج السنة الثالثة في كليات ا مامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، منذ عام ١٤١١هـ ،وكان طلاب السنة الثالثة بكلية الحديث في عام ١٤١٦هـ يدونون ما يسمعونه مني في محاضراتي تلك فيهم ، وجمعوه في مذكرة بخطوط عدد منهم ضمت جميع محاضراتي فيهم في : الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب ، والصحابة ، والإمامة ، وأشراط الساعة، وصوروا نسختها ، وتداولها الطلاب و لزملاء في الجام ة ، ولاتزال عندي نسخة منها.

وقد قابلت ماكتبه الطلاب عني في الإيمان بالكتب من مذكرتهم تلك على أصوله مماكتبته في أوراقي التي ندي ، وحررته مهذبا موثقا ، وأضفت إلى ذلك إضافات يسيرة في مواض معدو ة، وقدمته في هذه المطبوعة للنشر رجاء النفع به.

والله الموفق للصواب لا شريك له.

أ.د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان بالكتب

المراد بالكتب:

الكتب: جمع كتاب، والكتاب لفظ عربي مشتق من الفعل "كتب"، والكاف والتاء والباء أصل في لغة العرب لمعنى ضمِّ الشيء بعضه إلى بعض، تقول العرب: تكتّب الرجل، إذا حزم ثيابه عليه وضم بعضها إلى بعض، وتسمى العرب الخِياطة كتابة لأن الثوب يضم بعضه إلى بعض بها، ومنه "الكتيبة" سميت بذلك لأنها تضم جماعة من الجنود[١].

ومنه سمي الكتاب كتاباً، لأن مباحثه وأبوابه جمعت وضم بعضها إلى بعض فيه بالكتابة.

فالمقصود بالكتب في قول الشرع: "الإيمان بالكتب" على هذا الأصل اللغوي هو: ما جمع وضم في كتاب مما أنزله الله على أنبيائه، وظاهر حديث أبي ذر الذي فيه سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم: "كم كتاباً أنزل الله؟" قال صلى الله عليه وسلم: **"أنزل مائة وأربع كتب"** إ ن صح الحديث[٢] أ ن هذا هو المراد.

ولكن قد يكون المراد بالكتب جميع ما أنزل الله من وحيه على رسله سواء جمع في كتاب أم لا، ويكون التعبير بالكتب من باب ذكر الخاص وإرادة العام، ومن التعبير بالجزء عن الكل، لأن الذي في أصول الإيمان وجوب الإيمان بجميع ما أنزل الله على الأنبياء، ومعلوم أنه ليس كل نبي معه كتاب، قال الله: چ ٹ ٹ ٹ 6 ٹ ٹ ٹ : ڤ ڤ ڤ < ڦ ڦ ڦ B ڄ ڄ ڄ F ڃ ڃ ڃ J ڃ چ چ چ N چ چ چ R چ[٣] فجعل الإيمان إيماناً بجميع ما أنزل إلى المؤمنين على الأنبياء وبجمع ما أوتوه، فهذا هو أصل الإيمان في هذا

[١] انظر مقاييس اللغة ٥/١٥٨، ولسان العرب ١/٦٩٨.
[٢] وهو لم يصح، وسيأتي الكلام عليه تحت عنوان "عدد كتب الله".
[٣] البقرة ١٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب، فيكون ذكر الكتب على الوجه الذي ذكرنا، وقد قال سبحانه: چ ژ \ ڑ

^ ک ک ک ک گ گ گ چ[(١)] فذكر "الكتاب" وهو اسم جنس لكتب الله، وذكر معه "ما أر لنا به رسـنا" أي من الوحي وسائر الآيات.

المراد بالإيمان بالكتب:

م لوم من دلالات نصوص الوحيين، وهو أحد أصول أهل السنة ، أ ذ الإ ان ول الـ لب واللسان والجوارح. والإيمان بالكتب يجري على هذه الثلاث، فهو إيمان القلب واللسان والجوارح بالكتب،

أما صورة إيمان القلب بالكتب فهي:

اعتقاده أنها منزلة من عند الله، وهي كلامه ووحيه لأنبيائه، منه بدأت، ليست من إنشاء الرسل.

واعتقاد أنها تضمنت مراد الله من خلقه اعتقاداً وشريعةً وسلوكاً .

واعتقاد وجوب العمل بمقتضاها وتعبد الله به.

وأما صورة إيمان اللسان فهي:

الإقرار بذلك الذي اعتقده القلب، والإخبار عنه، والشهادة به.

وأما صورة إيمان الجوارح فهي:

امتثالها وامر الله في كتبه، وكها عن نواهيه ، وأدبها آدابها.

تسميات الكتب:

أطلق الله على كتبه أسماءً متنوعة الألفاظ، كل لفظ يدل على معنى جليل هو من صفاتها، وهذا عرض ً لذلك:

---

(١) غافر ٧٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أما تسميتها بالكتب، فتقدم ذكر معناه، ووروده كثير في كتاب الله، منه قوله سبحانه: چ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ j n ں p ڻ r s t ۀ چ[1].

- وسماه الله بـ"الكتاب" وهو على الجنس، كما في قوله: چ * ٻ ٻ ٻ . ٺ ٺ ٺ 2 ٿ چ[2].

- وسمى كتبه "الزبر"، كما في قوله: چ ہ ہ ہ ھ z ھ چ[3] أي ذكر القرآن في كتب الأنبياء السابقين[4]، و"الزبر" جمع زبور، وقد سماها الله "زبوراً" على الجنس في قوله سبحانه: چ چ چ N چ چ چ R چ[5] أي في كتب الأنبياء بعد أم الكتاب[6].

وهو مشتق من الفعل "زبر"، وهو في اللغة لثلاثة أصول من المعاني[7]:

١- بمعنى حكم وأتقن، تقول: زبر الكاتب الكتاب إذا أتقنه وأحكمه. فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها محكمة الألفاظ والمعاني.

٢- بمعنى حبس وزجر، تقول: زبر الوالد ولده، أي: حبسه وزجره. فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تحبس الناس عن معصية الله وتزجرهم عنها.

---

(١) البقرة ٢٨٥.
(٢) البقرة ١٧٧.
(٣) الشعراء ١٩٦
(٤) انظر زاد المسير ٦/١٤٤.
(٥) الأنبياء ١٠٥.
(٦) انظر زاد المسير ٥/٣٩٧.
(٧) انظر مقاييس اللغة ٣/٤٤، والصحاح ٢/٦٦٧، وتفسير القرطبي ٤/٢٩٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- بمعنى كتب، وبمعنى قرأ، فيكون معنى تمسية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تكتب وتقرأ.

وهذه المعاني جميعها حق في كتب الله، فيحمل معنى تسميتها "زبراً" عليها جميعها مجتمعة.

- وسمى تبه " فاً "كما في قوله: چ ٫ ۦ ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ[١] وهو مشتق من الفعل: "صحف"وهو في اللغة يدل على الانبساط، ومنه الصحّفة وهي القصعة يبسط فيها الطعام للأكل، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا: أنها تُبسط وتُنشر لقراءتها.

ووردت أسماءٌ أعلام على آحاد كتب الله خاصة بكل واحد منها سيأتي ذكرها عند ا تفصل ل ذ شاء الله.

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب واجب، بل هو من آكد الواجبات، وقد وردت الأدلة في الشرع تقرر وجوبه من وجوه عديدة، منها:

١- الإخبار عن كتب الله أنه أنزلها على رسله، وهذا الخبر واجب الإيمان به لأنه خبر الرب سبحانه والجحود به كفر، ومن أمثلة هذا الإخبار: قوله سبحانه: چ

N چ چ چ R ڍ T ڌ V ڎ X ڏ Z چ

[٢]فأخبر أنه أنزل مع النبيين كتباً بالحق، ومنه قوله: چ ٱ " ٻ ٻ ٻ

& ٻ پ چ[٣]، ونحو هذا كثير.

[١] طه ١٣٣.
[٢] البقرة ٢١٣
[٣] الحديد ٢٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- الأمر المباشر بالإيمان بالكتب، ومنه قوله: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ N ﭾ ﭿ ﮀ R ﮁ T ﮃ V ﮄ X ﮅ Z ﮆ ﭼ[١] فأمر بالإيمان بكتب الأنبياء جميعاً، ومنه قوله: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ 6 ﭣ ﭤ ﭥ : ﭧ ﭨ ﭩ > ﭫ ﭬ ﭭ B ﭯ ﭰ ﭱ F ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ[٢]، ونحو هذا كثير.

٣- إخباره سبحانه بأن الإيمان بالكتب من البر، قال سبحانه: ﭽ ﭑ " ﭓ ﭔ ﭕ & ﭗ ﭘ ﭙ * ﭛ ﭜ ﭝ . ﭟ ﭠ ﭡ 2 ﭣ... ﭼ[٣] والبر من الأسماء الجامعة لما يحبه الله ويرضاه.

٤- إخباره سبحانه أن النبي والمؤمنين يؤمنون بالكتب في معرض الثناء عليهم وتسجيل صفات الإيمان لهم التي بها يستحق العبد فة الإ ان وحـ ه، ال سبحانه: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ j ﮙ ﮚ ﮛ n ﮝ ﮞ p ﮠ r s t ﮤ v ﮦ ﮧ ﮨ Z ﮪ ﭼ[٤]، وقال سبحانه في صفات المتقين: ﭽ 6 ﭣ ﭤ ﭥ : ﭧ ﭨ ﭩ > ﭼ[٥]، وقال في مدح مريم عليها السلام بعد أن ضربها مثلاً للذين آمنوا: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[٦]، ونحو هذا.

٥- إخباره سبحانه بأن تكذيب المكذبين وكفرهم إنما كان لجحودهم بالكتب، فمن جحد بالكتب كفر وخرج من الملة، فظهر ملازمة وجوب الإيمان بالكتب

---

(١) النساء ١٣٦.
(٢) البقرة ١٣٦.
(٣) البقرة ١٧٧.
(٤) البقرة ٢٨٥.
(٥) البقرة ٤.
(٦) التحريم ١٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للإيمان، قال سبحانه: چ ک b ک گ گ f گ ڳ ڳ j

گ گ گ چ[(١)] وقال سبحانه: چ V ڎ X ڎ Z ژ \ ڑ

^ ک ک ک b ک چ[(٢)] أي جاءتهم الرسل بالكتب ولكنهم كذبوا بها.

٦- إخباره سبحانه بأن الكفر بالكتب ضلال بعيد، قال سبحانه: چ \ ڑ

^ ک ک ک b ک گ گ f ڳ ڳ چ[(٣)] فوصف من كفر بالكتب بأنه "قد ضل" وقد للتحقيق، ثم لم يكتف بهذا حتى أكده بالمصدر فقال: "ضلالاً" ثم لم يكتف بهذا حتى أكد المصدر بوصفه فقال: "بعيداً" وهو دليل مقرر لكون الإيمان بالكتب واجب.

٧- إخباره سبحانه عن جزاء المكذبين بالكتب، قال سبحانه: چ ژ \ ڑ

^ ک ک ک ک گ گ f ڳ ڳ ڳ j گ گ گ n ں

p ڻ r s چ[(٤)] وفي هذا دلالة على وجوب الإيمان بالكتب.

منزلة الإيمان بالكتب من الدين:

ما تقدم ذكره من وجوه دلالات النصوص على وجوب الإيمان بالكتب دال على أكده تأكيداً شديداً، وعلى لزومه للإيمان لا ينفك عنه بحال، ولذلك كان الإيمان بالكتب من أركان الإيمان، فهو ركن في الدين لا يقوم إلا به، وقد عدّه النبي صلى الله عليه وسلم في أركان

(١) آل عمران ١٨٤.
(٢) فاطر ٢٥.
(٣) النساء ١٣٦.
(٤) غافر ٧٠-٧٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الإيمان؟ قال صلى الله عليه وسلم: **"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"** الحديث[(١)].

وقد عده الله سبحانه في أركان الإيمان في آيات منها آية البقرة: چ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چ[(٢)] وغيرها.

الحكمة من إنزال الكتب:

لا يفعل الله عز وجل إلا لحكمة، هو منزه سبحانه وتعالى عن العبث واللعب، قال عز وجل: چ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ چ[(٣)]، وقال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ چ[(٤)]، وقد وصف نفسه بـ"الحكيم" حين ذكر إنزاله كتبه، قال سبحانه: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ چ[(٥)]، وقال: چ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ چ[(٦)] وقال في غير موضع: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ چ[(٧)] وقال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ چ[(٨)].

وحكمة الله لا يحاط بها ولكنه يتفضل على عباده رحمة منه بهم بإطلاعهم على ما في قدرتهم إدراكه من حكمته سبحانه: چ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ چ[(٩)] ويبقى وراء ذلك مما

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١/٣٦ رقم ١.
(٢) البقرة ٢٨٥.
(٣) المؤمنون ١١٥.
(٤) الدخان ٣٨.
(٥) الشورى ٣.
(٦) الشورى ٥١.
(٧) الزمر ١، والجاثية ٢، والأحقاف ٢.
(٨) النمل ٦.
(٩) البقرة ٢٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يعلمونه ما لا يحاط به، فإن حكمة الله صفته وقد قال عن نفسه سبحانه: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾[1]،

وقد ذكر الله عز وجل بعض الحكم من إنزاله الكتب على أنبيائه إلى خلقه، فمن ذلك:

١- إقامة الحجة على الخلق وقطع المعذرة عنهم في التوحيد، قال سبحانه: ﴿ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﴾[2] قوله: "لئلا" نص في التعليل، فهذه من حكم إنزال الكتب، وهو مفهوم وإن لم يُذكر في الآية إنزال الكتب، لأنه لا معنى لإرسال الرسل إلا بما أُرسلوا به من الوحي في الكتب وغيرها، والبشارة والنذارة هي فيما في آيات الكتب وسائر الوحي.

٢- رد الناس إلى التوحيد إذا اختلفوا فيه، وحكمه بينهم فيه، كما قال سبحانه: ﴿ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾[3] أي كان الناس أمة واحدة على التوحيد فاختلفوا عليه كما صح عن ابن عباس رضي الله عنه[4]، فبعث الأنبياء معهم الكتب مشتملة على الحق في شأن التوحيد ليحكم بين الناس بها فتردهم إلى الحق، فهذا حكم بين الناس في الملة والدين إذا اختلفوا فيه.

٣- أن تحكم بين الناس بالعدل فيما بينهم، قال الله: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﴾[5] ففي الكتب الأوامر والنواهي والتشريعات التي فيه العدل والقسط في الديانة والمعاملات والجنايات والمواريث وغير ذلك[6]، يتحاكم بها الناس لإقامة العدل بينهم.

وهذه الحكم الثلاث متعلقة بالمرسل إليهم الذين أنزلت الكتب إليهم وثمة حكمة متعلقة بالمرسلين الذين أنزلت الكتب عليهم وهي:

---

(١) طه ١١٠.
(٢) النساء ١٦٥.
(٣) البقرة ٢١٣.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٥١.
(٥) الحديد ٢٥.
(٦) انظر تفسير ابن سعدي للآية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- تأييد الرسل وإظهار صحة رسالاتهم وصدق نبواتهم، قال سبحانه: چ ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ چ[١] وقال: چ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[٢] ، أي وقع فيهم تكذيب الرسل مع أ ذ معهم ما يؤيد رسالاتهم ويشهد لصحتها وصدق الرسل من البينات والكتب المنزلة عليهم المشتملة على الحق الظاهر النيرٍ ، فكانت هذه الدلائل مانعة من التكذيب لظهور دلالتها على ما ذكرنا. فهذا دال على أن من الحكمة لإنزال الكتب تأييد الـ سل لأن يها ن لحق الـ دل ما يمنع تكذيبها والشك فيها.

الواجب على العبد لكتب الله

الواجب على العباد لكتب الله أخذها بقوة كما قال الله لنبيه يحيى عليه السلام: چ ٱ ٻ ٻ ٻ چ[٣] أ ي بجد واجتهاد ومثابرة على حفظ ألفاظها وفهم معانيها والعمل بأوامرها ونواهيها[٤] وتعليمها للناس. وقد ذكر الله هذا في شأن يحيى عليه السلام ليكون هدىً يقتدي به المؤمنون كما قال سبحانه بعد أن قص عدداً من الأنبياء في سورة الأنعام: چ ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ[٥] .

ومعنى "خذ الكتاب بقوة" هو معنى النصيحة لكتاب الله الوارد ذكرها في قوله صلى الله عليه وسلم: "**الدين النصيحة** قالها ثلاثاً -، قالوا: لمن يا رسول الله؟، قال: "**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[٦]، فجعل النصيحة هي الدين، وفسر الدين بها، والنصيحة نقيض الغش فهي تخليص الشيء من الشوائب[٧]، فالمـ اد ا تيان بحـ وق هذه المذكورات محققة خالصة من القوادح، وجماع النصيحة لكتب الله في أمرين:

---
(١) آل عمران ١٨٤.
(٢) فاطر ٢٥.
(٣) مريم ١٢.
(٤) انظر تفسير ابن سعدي للآية.
(٥) الأنعام ٩٠.
(٦) أخرجه مسلم ١/٧٤ رقم ٥٥.
(٧) انظر لسان العرب ٢/٦١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولى: العمل بها، وله أربعة حقوق، الائتمار بأوامرها، والانزجار عن زواجرها، والتأدب بآدابها، والدعوة إليها وتعليمها الناس.

الثاني: تعظيمها، وله حقوق: منها: الخشوع ومنه الخضوع والبكاء عند تلاوتها أو سماعها، قال الله: چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڈ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ[1] فهذا هو هدي الأنبياء والمجتبين إذا تليت آيات الله خروا سجداً وبكياً تعظيماً لها، وقال سبحانه: چ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ[2] فهذا شأن أهل العلم، امتدحهم الله بتعظيم كتابه بالخضوع والخشوع عند تلاوته.

وامتدح الله النجاشي ومن معه من المؤمنين[3] بقوله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[4].

وقد أمر الله بالإنصات عند سماع القرآن فقال: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چ[5] والإنصات يوجب أن تُقبِل بجميعك على الشيء مستيقظ القلب مجتمع الجوارح، هذا من تعظيم كتب الله.

ومن تعظيم كتب الله: الطهارة الحسية والمعنوية لها، أما الحسية فبالوضوء عند مسها، كما قال سبحانه: چ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[6] وهذا أصل في لمس كتب الله التي جمع فيها كلامه ووحيه المنزل، وأما المعنوية فبتطهير القلب عن الانشغال بغيرها عند تلاوتها، ولذلك أمر الله بالإنصات عند سماعها كما تقدم.

ومن تعظيم كتب الله، توقيرها واحترامها وعدم امتهانها، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو[7] خشية أن يمتهن من أحد منهم. وقد روى كبار

---

[1] مريم ٥٨.
[2] الإسراء ١٠٧-١٠٩.
[3] انظر زاد المسير ٢/٤٠٨.
[4] المائدة ٨٣.
[5] الأعراف ٢٠٤.
[6] الواقعة ٧٩.
[7] متفق عليه، البخاري مع الفتح ٦/١٣٣ رقم ٢٩٩٠، ومسلم ٣/١٤٩٠ رقم ١٨٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التا عين أنه كان يقال: ع موا المصاحف[(١)]. وكانوا يكرهون كتابة المصاحف في الشيء الصغير، ورووا عن الصحابة رضي الله عنهم نهيهم عن ذلك[(٢)]، ورووا أنه كان يكره أن يقال: مصيحف[(٣)]، وكره جماعة منهم أن يقال للسورة من القرآن: قصيرة أو خفيفة[(٤)]، لأن لأن الله يـ ول: چ ٹ ٹ ڈ ﮉ ﭫ ﭬ چ [(٥)]، حتى قد كرهوا تطييب المصحف بالمسك ونحوه[(٦)] كي لا يتلطخ بأثره، وكرهوا أن يـُكتب في المصحف غير القرآن من كتابة الفواتح والعدد والتحزيب ونحو ذلك لئلا يختلط القرآن بغيره وليكون المصحف مجرداً لكلام الله فحسب[(٧)].

ونهوا أ ذ يوضع كتاب الله في غير موضعه حتى نهى بعضهم عن وضعه على الأرض، ورأ د عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب من القرآن على حائط فضربه[(٨)] كل هذا ونحوه تعظيماً لكتاب الله.

وفي الجملة، فتعظيم كتب الله من النصيحة لها وهو من حقوقها على العبد، وفي الكتاب والسنة مثلان لتعظيم المخلوقات لكلام الله توجب على العبد التفكر فيهما، ففي الكتاب قال الله: چ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ چ[(٩)] .

وفي السنة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشنطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: "**تلك السكينة تنزلت للقرآن**"[(١٠)].

صفة الإيمان بالكتب الواجب على العبد:

---

(١) انظر المصاحف لابن أبي داود ١٣٥.
(٢) المصاحف ١٣٦.
(٣) المصاحف ١٥٢.
(٤) المصاحف ١٥٣.
(٥) المزمل ٥.
(٦) المصاحف ١٥٢.
(٧) المصاحف ١٣٧.
(٨) المصاحف ١٨٩.
(٩) الحشر ٢١.
(١٠) متفق عليه، البخاري مع الفتح ٦/٣٦١٤، ومسلم ١/٥٤٧ رقم ٧٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القدر الذي تحصل به الركنية الواجب على كل فرد من آحاد المؤمنين هو أن يؤمن إيماناً مجملاً بأن الله أنزل كتباً على أنبيائه فيها مراده من عباده هي وحيه الذي تكلم به وأوحاه إلى رسله، وأنه يجب الإيمان بما ورد في شأنها في كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: "القرآ ن"على الوجه الذي ورد به، إجمالاً فيما أجمله، وتفصيلاً فيما فصله، وأن يؤمن بأ الإيما بـ"القرآ ن" خاصة يجب على التفصيل باعتقاد عقائده والتزام شرعته عملاً بأوامره وانزجاً عن نواهيه وتأدباً بآدابه.

هذا القدر المجمل هو الذي يحصل به أصل الواجب وتستوفى به الركنية، ثم المؤمنون يتفاوتون بعد ذلك في استكمال الواجب وتحقيق تمامه، فكل من علم شيئاً من تفاصيل ذلك وجب عليه الإيمان به وزاد به إيماناً على الذي لم يعلمه، فمفردات الإيمان المجمل هي مورد التفاو ت.

والإيمان المجمل بالقرآن من غير إيمان بتفاصيله والتزام بها لا يتحقق به الإيمان الواجب، وإلا كان من آمن بالقرآن من أهل الكتاب مع دعواه اختصاصه بالعرب دونهم مؤمناً، وليس كذلك. أمر الله نبيه أن يقول: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[1] ، وقال سبحانه: ﴿ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ﴾[2] .

وكذا الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين ثم تركوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، وزعموا أنهم إنما يعملون بما ورد في القرآن وحسب، ليس هذا منهم إيماناً، لأن من الإيمان المفصل بالقرآن الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عله ه وسلم غير لقر ن في سنته القولية والفعلية، وفي القرآن : ﴿ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ﴾[3] ، وفيه: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ﴾[4] ، وفيه: ﴿ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ﴾[5] .

---

(1) الأنعام ١٩.
(2) الفرقان ١.
(3) الحشر ٧.
(4) النساء ٨٠.
(5) النساء ٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونستعرض فيما يلي بعض مفردات الإيمان التي وردت مجملة في النصوص فيكون الإيمان ا واجب بها على وجه الإجمال الذي وردت به.

الإيمان بكتب الله جملة من غير تفريق بينها:

ورد الأمر بالإيمان بكتب الله أمراً بالإيمان بها جميعاً من غير تفريق، وهذه من وجوه الإجمال في الإيمان بالكتب، قال الله عز وجل: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[١] أي من غير تفريق بينها في الإيما لأن هذا ورد بعد الأمر بـ دم التفرق في الدين الذي شرع في رسالات الرسل، وبعد ذكر تفرق أهل الكتاب فيه بإيمان ببعض الكتب دون البعض، المذكورين في الآيتين قبل هذه الآية.

وقال سبحانه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[٢] ولا معنى للتفريق بين لر لل إلا لتـ ريـ بين ما وتـ ه من سالات الله وكتبه، كما قال سبحانه: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [٣].

والتفـ يق ين كتـ الله الإيما فـ ينـ ض صل الإيمان.

والتفريق بين كتب الله في الإيمان له في الجملة صورتان:

الأولى: <u>الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها</u>:

ومثال هذه الصورة ما حكاه الله عن اليهود من إيمانهم بالتوراة وكفرهم بالقرآن، قال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[٤] فسجل الله عليهم فعل الكفر بهذا التفريق في الإيمان، وقال سبحانه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[٥] فسجل سبحانه على المفرقين بين

---

[١] الشورى ١٥.
[٢] البقرة ٢٨٥.
[٣] البقرة ١٣٦.
[٤] البقرة ٩١.
[٥] النساء ١٥٠-١٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسل ورسالاتهم وكتبهم فعل الكفر فقال "يكفرون" ووصف فقال "أولئك هم الكافرون" وحقق تسجيل وصفهم بالكفر بقوله: "قاً" ثم توعدهم سبحانه.

وإنما كان الكفر ببعض كتب الله مع الإيمان ببعضها كفرابًا جميعاً وناقضاً لأصل الإيمان لثلاثة أوجه:

١- أن جميع كتب الله مصدرها واحد، فهي منزلة من عند الله فلا وجه للتفريق بينها، فمن كفر بواحد منها كان هذا كفراً بالجنس الذي اجتمعت عليه، وعاد على جميع الكتب بالكفر. وهذا الوجه ينبه عليه قول الله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[١] وقوله: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[٢].

٢- أن جميع كتب الله اشتملت على أصول اعتقادية وعملية واحدة، وهي جميعها على ملة واحدة، فمن كفر بواحد منها يكون هذا كفراً بالملة التي اشتمل عليها ذات الكتاب الذي ادعى الإيمان به.وكتب الله يصدق بعضها بعضاً فالكفر بواحد منها كفر بالباقي، وينبه إلى هذا الوجه قوله سبحانه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ[٣] فقوله: "وهو الحق مصدقاً لما معهم" تعليل لكفرهم.

٣- أن كل كتاب من كتب الله أمر بالإيمان بجميع كتب الله. فإن الإيمان بالكتب من أصول الإيمان التي جاءت بها الملة على لسان كل رسول، فمن كفر بواحد من كتب الله يكون قد كفر بما أمر به في الكتاب الذي ادعى الإيمان به.

هذا ويمكن أن يقال أن التفريق بين كتب الله في الإيمان يرد من جهتين، من جهة التنزيل، وهذا ككفر اليهود بالقرآن مع إيمانهم بالتوراة فإنهم أنكروا أن يكون القرآن منزلاً أصلاً من عند الله، فهو كفر بأصل الإنزال. ومن جهة التأويل، وهذا ككفر النصارى الذين أقروا بالقرآن كتاباً منزلاً ولكنهم زعموا أنه

[١] الشورى ١٥.
[٢] البقرة ١٣٦.
[٣] البقرة ٩١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاص بالعرب ولا يجب عليهم اتباعه وهم مكتفون بكتابهم، فهؤلاء أثبتوا أصل الإنزال وكفروا من جهة التأويل.

الثانية: الإيمان ببعض الكتاب الواحد والكفر ببعضه:

ومثال هذه الصورة فعل اليهود الذي ذكره الله في قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[1] والشاهد في الآية قوله: "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" أي تؤمنون ببعض كتابكم وتكفرون ببعضه، وبين وجه هذا الكفر من فعلهم وهو المذكور في الآية، وهو أنه كان حلفاء الخزرج من اليهود يقاتلون مع الخزرج حلفاء الأوس من اليهود أنفسهم في الحرب الدائرة بين الخزرج والأوس، فيقاتل اليهودي اليهودي، فيقتل اليهود بعضهم بعضاً ويخرجون بعضهم بعضاً من ديارهم، وهذا محرم عليهم في كتابهم، ثم إذا أسر يهودي من الفريقين كليهما جمعوا له الفدية يفدونه جميعاً لأن هذا واجب عليهم فعملوا بهذا وتركوا ذاك[2].

ومن صور الإيمان بالكتاب الواحد والكفر ببعضه، ما عليه الذين يسمون أنفسهم بـ"القرآنيين" الذين يقولون: القرآن يكفينا، ويتركون العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء قد كفروا ببعض القرآن مع دعواهم الإيمان به وهو كفرهم بقول الله في القر ن: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[3] و د ر الخبر عنه عن رسو الله لى الله عليه سلم ، قال « r » : لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[4] ويلحق بهؤلاء كل من رد خبر الآحاد من المبتدعة.

---

(١) البقرة ٨٤-٨٥.

(٢) انظر زاد المسير ١/١١٠-١١١.

(٣) الحشر ٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٥ ، وأبو داود ٥/٣٦ رقم ٢٦٦٣ وابن ماجه ١/٦ رقم ١٣ ، وأحمد ٣٩/٣٠٢ رقم ٢٣٨٧٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الجملة من الإيمان تنبني عليها فوائد منها: تقرير المذهب الراجح في أن شرع من قبلنا الوارد في شرعنا من غير نسخ شرع لنا، لأن الإيمان واجب بكل ما جاء في كتب الأنبياء السابقين وشرائعهم.

اتفاق كتب الله في الملة والأصول وتنوع شرائعها:

هذه جملة من جمل الإيمان بكتب الله، أنها جميعها جاءت بملة وأصول اعتقادية وأصول عملية وأصول آداب واحدة ولكن تنوعت الشرائع والمناهج، قال الله عز وجل: چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے چ[1] قوله سبحانه في الآية "مصدقاً لما بين يديه" إلى قوله: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" تقرر ما ذكرناه من اتفاق كتب الله في الأصول وتنوع شرائع ومناهج تطبيق تلك الأصول.

وقال سبحانه: چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ چ[2] فأخبر أنه شرع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم الوصايا التي وصى بها سائر الأنبياء لا جميع ما أوحاه الله لكل واحد منهم وشرع جميع ما أوحاه لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى لفارق بين فظي "وصى" المقرونة بأسماء الأنبياء المذكورين و"أوحينا" المقرونة باسم النبي صلى الله عليه وسلم.

والوصايا هي الملة والأصول العملية وأصول الآداب ويدل لذلك كتاب الله، ففي الملة قول الله: چ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ چ إلى قوله: چ ہ ہ ہ ہ ھ چ[3] وقال: چ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ[4] وفي الأصول العملية قال عيسى عليه السلام: چ گ گ گ گ گ گ گ گ چ[5] فهذه في الصلاة والزكاة من جنس الأصول العملية،

---

(1) المائدة ٤٨.

(2) الشورى ١٣.

(3) البقرة ١٣٠-١٣٢.

(4) النساء ١٣١.

(5) مريم ٣١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ل ا قبدلآا لوصأ في و: چ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ چ[1] فهذه في بر الوالدين من جنس بـالآ ا، وقد سردت آيات سورة الأنعام[2] التي في أ لها: چ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ چ عشر وصايا اشتملت على أصول اعتقادية وأصول عملية وأصول آداب، وقد ختمت كل آية من تلك الآيات بقوله: چ ﮣ ﮤ ﮥ چ وقد قال صلى الله عليه وسلم: **"الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**[3] والمقصود بالأمهات في الحديث: الشرائع والمناهج[4]، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لاتفاق شرائع الأنبياء في الملة وأصولها وتنوع مناهجها بالإخوة لأب، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى.

والشرائع التي وقع فيها التنوع هي الأحكام التي يدخلها النسخ، فالصلاة مثلاً أصل عملي اتفقت عليه رسالات الرسل لا يدخله النسخ، ولكن تنوعت شرائعها في صفاتها وأعدادها وأذكارها وشروطها ونحو ذلك، وهكذا في باقي الأصول وشرائعها.

والحكمة في تنوع الشرائع مع اتفاق الملة هي: "توحيد الخلق على توحيد الخالق" وذلك بأن تؤخذ كل أمة بالتشريعات التي توافق طبائع أهـها ز انه ليكو من كل مة أتم حال يؤدى بها توحيد الله عز وجل، ولذلك تتفاوت الشرائع بين تشديد وتيسير بحسب أحوال الناس وأزمنتهم، فلما كان اليهود مثلاً أهل مكر وبهتان وتحايل ومخادعة وجرأة على ارتكاب المحظورات وقتل الأنبياء وتحريف كلم الله عن مواضعه ناسب أ ن تكون الشريعة المفروضة عليهم شديدة حتى وصفها الله بالإصر والأغلال في قوله: چ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ چ[5] أي بنسخها بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولما كان القرآن آخر كتب الله لا كتاب بعده لأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكانت شريعته عامة في الخلق إلى قيام الساعة فقد ضبط الله شرعته لتوافق أحوال الخلق كلهم على اختلاف أحوالهم وأزمنتهم إلى قيام الساعة، فيستغنوا بها في كل حال وزمن عن الحاجة لكتاب آخر.

---

[1] الأحقاف ١٥.

[2] انظر الآيات ١٥١-١٥٣.

[3] أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٦/٤٧٨ رقم ٣٤٤٣، ومسلم ١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥.

[4] انظر فتح الباري ٦/٤٨٩.

[5] الأعرا ف ١٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتب الله منزلة منه على رسله:

هذه الجملة من الإيمان أصل عظيم في الإيمان بكتب الله فهي لبّه وحقيقته، لا يثبت الإيمان بالكتب إلا بها، وأصل ورود باطل كفر أو بدعة في هذا الباب فمن جهة القدح في هذه الجملة من الإيمان، ولذلك قرر الله هذا الأصل في كتابه أعظم تقرير فكثر ذكره في كتاب الله، وورد على وجوه متعددة من الذكر، وأساليب متنوعة من البيان،

- فتارة تفتتح السورة من القرآن بتقرير هذا الأصل:

أ- ثم يكون هذا الافتتاح حيناً: بالإخبار العام، كما في افتتاح سورة آل عمران: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ چ وأول سورة لزمر: چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ وبه افتتحت سور السجدة ويس وغافر وفصلت والجاثية والأحقاف، أن الكتاب تنزيله سبحانه.

ب- وحيناً يكون افتتاح السورة بثناء الله على نفسه لتنزيله الكتاب والامتنان على خلقه بذلك، ففي مفتتح سورة الكهف: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ چ وفي مفتتح سورة الفرقان: چ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ.

- وتارة يكون هذا التقرير في أثناء السورة، وهو أكثر وروده، وهو على وجوه:

أ- فأحياناً يكون بالإخبار العام، كقوله سبحانه: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چ [١]، وقال سبحانه: چ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ [٢].

ب- وأحياناً يقرره سبحانه في سياق الأمر بالإيمان، كقوله: چ ئۆ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى چ [٣] وقوله: چ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ...چ [٤].

---

[١] الحديد ٢٥.
[٢] البقرة ٢١٣.
[٣] الشورى ١٥.
[٤] البقرة ١٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- وأحياناً يقرره في سياق ذكر صفات المؤمنين التي استحقوا لها اسم الإيمان وحكمه وأن منها إيمانهم بإنزال الكتب، كقوله: چ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ں چ[1] وقوله في صفة المتقين: چ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ چ[2] وقوله: چ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ چ[3].

وفي هذه الوجوه والآيات وغيرها كثير في كتاب الله يعبر سبحانه عن إيتائه الكتب بالفعل نزل وتصرفاته، فتارة بصيغة "نزَّلنا" كما في قوله: چ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ چ[4]، وقوله: چ ﭢ ﭣ ﭤ چ[5] وتارة بصيغة "نُنزِّل" كما في قوله: چ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ چ[6]، وتارة بصيغة "يُنزِّل" كما في قوله: چ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ چ[7] وتارة بصيغة "نُزِّل" كقوله: چ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ چ[8]، وتارة بصيغة "تُنزَّل" كقوله: چ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ چ[9]، وتارة بصيغة "يُنزَّل" كقوله: چ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ چ[10] وتارة بصيغة "أَنْزَل" كقوله: چ ﮆ ﮇ ﮈ چ[11] وقوله: چ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ چ[12] وقوله: چ ﮨ ﮩ ﮪ چ[13]، وقوله: چ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ چ[14]، وتارة بصيغة "نُزِل" كقوله: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ... چ

(1) البقرة ٢٨٥.
(2) البقرة ٤.
(3) آل عمران ١٩٩.
(4) الحجر ٩.
(5) الإسراء ١٠٦.
(6) الإسراء ٨٢.
(7) الحديد ٩.
(8) النحل ٤٤.
(9) التوبة ٦٤.
(10) المائدة ١٠١.
(11) البقرة ٢١٣.
(12) العنكبوت ٤٧.
(13) يوسف ٢.
(14) النساء ١٦٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[1] وقوله: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [2] ، وتارة بصيغة "تنزيل" كقوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [3] وتارة بصيغة "مُنزَّل" في قوله: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [4] .

وفي جميع مواضع ذكر تنزيل الكتب من الله أضيف الإنزال إليه سبحانه على وجهين:

١- إسناد الفعل إليه فهو فاعله.

٢- إسناد ابتداء الفعل إليه فهو منه.

والتعبير بالإنزال وإسناده إلى الله يدل على أصلين في الحق يقمعان نوعين من الباطل:

الأول: أن كتب الله ليست من كلام الرسل أنشؤوه من أنفسهم، وكذا لم يتلقوه من أحد ممن حولهم من البشر. فإن النزول والإنزال لا يكون إلا من علو إلى سفل، لا يُعقل إلا كذلك، فإذا كانت كتب الله منزلة عليهم فهي أولاً: من جهة منفكة ليست من كلام أنفسهم، ثم هي من ذات في العلو ليست ممن حولهم في الأرض. وهذا يبطل قول الكفار ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [5] وقولهم: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [6] الذي حكاه الله عنهم.

الثاني: أن كتب الله هي كلامه الذي هو صفته منه بدأ، فهي غير مخلوقة ولكنها كلام الله، وهذا هو معنى إسناد الفعل إلى الله بأنه فاعله،، فالفعل صفة الفاعل، وهو معنى إسناد الفعل إلى الله بأنه منه، لأنه ابتدأ منه وخرج منه سبحانه، فكُتب الله كلامه منه بدأت، تكلم بها أولاً سبحانه ثم تناقلت كلامه سبحانه الألسن وحفظته الصدور والسطور وهو حيث تصرّف كلام الله لأنه منه بدأ، فهو غير مخلوق، فإن قيل: كيف يكون الكتاب كلامه الذي هو صفته وقد كتب باليد المخلوقة على الورق المخلوق بالحبر المخلوق، وحفظته الصدور المخلوقة وردده الألسن المخلوقة، فالجواب: يكون كلام الله لأنه منه بدأ، فالكلام ينسب إلى من تكلم به أولاً حيث تصرف، فإنك إذا تلوت حديثاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت نفسك ولسان نفسك لا يقول أحد: إن هذا كلامك، وإن

---

[1] آل عمران ٨٤.
[2] آل عمران ٦٥.
[3] الشعراء ١٩٢.
[4] الأنعام ١١٤.
[5] المدثر ٢٥.
[6] النحل ١٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كا بأداء نف لك، بل يقول: هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن صوتك المسموع منه هذا الكلام ليس هو صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لسانك وحركات فمك بالحروف والكلم هي لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركات فمه الشريف، ولكنه كلام رسول الله لأنه هو الذي تكلم به أولاً وخرج منه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر، هذا وكلامه صلى الله عليه وسلم مخلوق ككلامنا، فكذلك كلام الله إذا تلوته أو حفظته أو كتبته هو كلام الله وليس كلام التالي والكاتب، وكلامه الذي نشأ منه سبحانه هو صفته غير مخلوق، فلا يكون نشأ مخلوقا و م مخلوق.

ويجُ لي الأمر بيان أن الكلام ينسب نسبتين: نسبة إلى المتكلم به أولاً، فيكون كلامه الذي هو صفته. ونسبة إلى المبلغ، فيكون تبليغه، فالأولى: نسبة إنشاء، والثانية: نسبة تبليغ.

فالقرآن منزل من الله على رسوله لا من مخلوق من المخلوقات ، وهو كلام الله منه بدأ ، فهو المتكلم به أولا لم يبتدء من غيره ، وهذا يبطل أنواعاً من البدع :

- يبطل قول من يجعله فيضاً فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره، كما تقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة .
- ويبطل قول من يقول إن كلامه مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة، كما هو قول الجهمية القائلين بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم .
- ويبطل قول من يقول إن كلام الله معنى قائم بذات الله ليس بحرف ولا بصوت وهو شئ واحد لايكون فيه خبر ولاإنشاء ولاأ ر ولانهي ولاشئ م أوا ع الكلام التي تتميز فيه ، فهو كلام نفسي ثم خلق كتبه توراة وإنجيل وقرآن لتدل على ذلك المعنى الذاتي القائم بنفسه ، فكتب الله ليست كلامه بل مخلوقات تعبر عن كلامه ، فكتبه عبارة عن كلامه لا أنه تكلم بها وخرج منه بها كلام ، ثم هو ما ألهمها جبريل فعبر عنها بما أوحاه للأنبياء ، أو يكون جبريل أخذه من اللوح ، وهذا القول قول الكلابية والأشعرية .

وقول الكلابية والأشعرية يوافق قول المعتزلة وأضرابهم في ادعائهم خلق القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الله ، وإنما يفارقه في صورة الادعاء من وجهين :

١- أن المعتزلة أصرح عبارة إذ قالوا : إن المخلوق كلام الله ، وهؤلاء موهوا قالوا : ليس المخلوق كلام الله وإنما هو عبارة عن كلام الله ،ويسمى كلام الله مجازاً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- أن المعتزلة يقولون :لايقوم بذات الله كلام أصلاً ، وهؤلاء قولون : يقوم بذاته كلام هو المعنى القديم القائم بذاته الذي هو الكلام النفسي .

وقد احتج من يقول بالعبارة بقوله تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ }[١] ، قالو أضاف القرآ ن إلى الرسول ، وحملوه على إضافة الإنشاء والإحداث ، ه نعبلوجاو : أن إضافته إلى الرسول إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء ويدل عليه وجوه[٢]:

الأو ل : أن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين ، والرسول في أحد الموضعين محمد صلى الله عليه وسلم وفي الآخر جبريل عليه السلام ، قال ت ا في ا اقة { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال في التكوير : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } فالرسول هنا جبريل عليه السلام ، فل كانت ا ضاف إلى الرسول إضافة إنشاء لكان الخبران متناقضين ، فإنه لو كان أحدهما هو الذي أحدثه امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثه ، فدل هذا على أن الإضافة إضافة تبليغ ، فكل منهما مبلغ ع الله .

الثاني : أ ن ال : { لَقَوْلُ رَسُولٍ } ، ولم قل : لق ل نبي ، في الحا ة ، ولا : لقول ملك ، في التكوير ، ووصف (رسول) لهما دال على أن كلا منهما مبلغ للقول لا أنه أنشأه من جهة نفسه ، فأضاف الله القول إلى صفة الرسول خاصة لأنه أداه لا أنه ابتدأه .

[١] الحاقة ٤٠ ، والتكوير ١٩.
[٢] أنظر الفتاوى ١٢/١٣٥-١٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالث : أن الله قد جمع بين قوله : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } وقوله : { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } في موضع واحد في آيات الحاقة ، كما جمع بينهما في قوله : { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } [1] والضمائر في جميعها عائدة إلى القرآن ، فلو كان الرسول هو أحدثه لم يكن تنزيلا من رب العالمين بل تنزيلا من الرسول ، ولذلك قال سبحانه : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ } [2] فقال : { مِنْ رَبِّكَ } ، وهذا بين ابر دائه.

الرابع : أن الله كفر من جعل القرآن قول البشر في قوله : { ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ *إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ } [3] ، هذا مع قوله تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } في الحا ة ، فجعله قول الرسول وهو بشر مع تكفيره من يقول إنه قول البشر ، فعلم ذ المرا أ الرسـ ل لمغه وأدا و يحدثه.

الخامس : قرن الله إضافة القول إلى الرسول في قوله : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ } في الموضعين بما بين معناها ، فقال لحاقة : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ }

---

[1] الشعراء ١٩٢-١٩٣
[2] النحل١٠٢.
[3] المدثر٢٣-٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتوعد على تقول الرسول عليه مع إضافته القول إلى الرسول ، وقال في التكوير : { مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } فوصف الرسول بالأمانة ، أ ي في بليغ لـ ول.

نوعا اختلاف الخلق في تنزيل الكتب:

ذكرنا فيما تقدم أن الله عظم في كتابه تقرير كون كتبه منزلة منه. وأكده بالترديد في الذكر والتنويع في العبارة بما يجلي شأنه ويمنع الشبهة فيه، وهذا من فضله على عباده في بيان ما يختلفون فيه وفصل الحكم فيه، فإن الخلق قد اختلفوا في تنزيل كتابه سبحانه اختلافاً انقسم به الحق والباطل، والسنة والبدعة، وتضاد المؤمن والكافر، والسني والبدعي.

ويمكن تصنيف اختلاف الخلق في تنزيل الكتاب إلى نوعين[1] :

الأول: اختلاف في جنس التنزيل، وهو بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون يؤمنون بأصل التنزيل ويثبتون كتاب الله منزلاً منه سبحانه على رسوله فهو كلام الله والرسول مبلِّغ، أما الكفار فأنكروا أصل التنزيل وأبطلوه وزعموا أن الكتاب قول الرسول أو تعلمه من بشر.

الثاني: اختلاف في صفة التنزيل، وهو واقع بين أهل السنة وبين أهل البدع والهوى من فلاسفة ومتكلمة، فأهل السنة يقولون: كتاب الله كلامه، خرج منه بحرف وصوت، وسمعه منه جبريل، وبلغه جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعه الرسول « r » من جبريل عليه السلام، وبلغه الرسول لأمته سمعه منه أصحابه وتلقته الأمة منهم. أما أهل البدع من أهل الكلام فقد اتفقوا على كلمة واحدة هي أن القرآن مخلوق، إما خلقه الله في جبريل أو في محمد أو في جسم آخر غيرهما، وأما الفلاسفة فجعلوه فيضاً فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعّال أو غيره. وكلا القولين كفر وضلال.

عدد كتب الله:

الكلام في عدد كتب الله لا أصل له صحيح، فهو غير معلوم، وقد اشتهر أن عدة كتب الله مائة وأربع كتب، روى البيهقي في سنته أن الربيع بن صبيح روى عن الحسن البصري

[1] انظر الفتاوى ١٢/١٣ – ١٤ و ١١٩ – ١٢١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب[1]. ومستند من قال ذلك حديث أبي ذر الطويل الذي فيه:قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله؟ قال: **"مائة كتاب أربع كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ (وفي رواية: إدريس) ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل الزبور القرآن"**[2]، وهو حديث انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده[3]، وقد قال الذهبي: "إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يصب"[4]وقد قال الهيثمي في هذا الحديث: "فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم وغيره: كذاب"[5] فليس في الحديث حجة مع هذا السند.

وعن وهب بن منبه قال: "قرأت ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبياً"[6]، وقال: "لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل"[7].

ولا يعرف من كتب الله معرفة ثابتة صحيحة إلا أربع كتب ذكرها الله في القرآن الكريم، والقرآن هو خامسها، وهي: توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وصحف إبراهيم – عليهم السلام.

وفيما يلي تعريف بكل منها:

التوراة:

هذا اسم الكتاب المنزل من الله على موسى عليه السلام، وهو اسم عبراني، أصله "طُورا" بمعنى "الهدى"[1]، وبمعنى "الشريعة" أو "الناموس"[2]. فهو على هذا لفظ أعجمي لا يدخله يدخله اشتقاق عربي ولا يوزن على أوزان الصرف العربية.

---

(1) السنن الكبرى ٩/١٨٨.

(2) أخرجه ابن حبان، الإحسان ١/٢٨٧-٢٨٩. وعزاه في الدر المنثور ٦/٣٤١ إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر.

(3) انظر ميزان الاعتدال ١/٧٢.

(4) ميزان الاعتدال ٤/٣٧٨.

(5) موارد الظمآن ص٥٣.

(6) الطبقات الكبرى ٥/٥٤٣.

(7) الطبقات ٥/٥٤٣ والحلية ٤/٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه اسم عربي، واختلفوا في اشتقاقه ووزنه الصرفي، ففي اشتقاقه قولان:

١- أنه مشتق من: وَرِيَ الزند، يَرِي: إذا ظهر منه النار[٣]، فكأن التوراة ضياء من الضلال.

٢- أنه مشتق من: وَرَّى في كلامه، إذا عرَّض[٤]، ويكون ذلك لأن في التوراة رموزاً كثيرة وتلويحات جليلة.

وفي وزنه أقوال:

١- أنه على وزن "فَوْعَلَة"، فأصلها "وَوْرَيَة" فأبدلت الواو الأولى تاءً، كما فعلوه في "تُقَاة" "تُجَاه" في "وُجاه" و"وُقَاة" من الوجه والوقاية[٥]، وأبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. قاله البصريون[٦].

٢- أنه على وزن "تَفْعَلَة" بفتح العين، وقلبت الياء ألفاً والتاء زائدة، من: ورت بك زنادي، قاله الكوفيون[٧].

٣- أنه على وزن "تَفْعِلَة" بكسر العين، فأبدلت الكسرة فتحة وقلبت ألفاً، وفعل ذلك تخفيفاً، كما قالوا في "توصية": "توصاة"، قاله الفراء[٨]. واعترضه البصريون بأن هذا البناء قليل، وبأنه يلزم منه زيادة التاء أولاً، وهي لا تزاد كذلك إلا في مواضع ليس هذا منها[٩].

---

[١] انظر التحرير والتنوير ١٤٨/٣.

[٢] تفسير المنار ١٥٥/٣.

[٣] انظر البحر المحيط ٣٧١/٢ وإملاء ما من به الرحمن ٧٢/١.

[٤] انظر البحر المحيط ٣٧١/٢.

[٥] استدرك العكبري في إملاء ما من به الرحمن ٧٢/١ بأن التاء في "تقاة" أبدلت عن الواو لانضمامها ضماً لازماً مثل "تجاة" وليس كذلك هنا، ولكنها أبدلت في التوراة عن الواو كما قالوا "تَوْلَج" وأصلها "وَوْلَج"، والتولج كناس الظبي أو الوحش الذي يلج فيه.

[٦] انظر البحر المحيط ٣٧١/٢ مصدر سابق و ٧٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١٨٣/١، وإملاء ما من به الرحمن ٧٢/١.

[٧] انظر المراجع السابقة.

[٨] البحر المحيط ٣٧١/٢، وإملاء ما من به الرحمن ٧٢/١.

[٩] إملاء ما من به الرحمن ١ / ٧٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما قيل إن اسم "التوراة" عربي لأمرين:

الأو ل: دخول "لأ" التعريف عليه، وهي لا تدخل على الأسماء الأعجمية.

وقد أجيب عنه بأنه لا مانع من دخولها على المعرب، كما ألزموا بعض لأسماء لأعجمة الألف واللام علامة على التعريف، كما ورد في "الاسكندرية" فهو لا يستعمل بدونها مع الاتفاق على أعجميته[١].

الثاني:أنها قُرِئت في المتواتر بإمالة الألف، وعلة إمالتها: الدلالة على الأصل، لتقريبها إلى أصلها وهو الياء[٢]، فدل هذا على أنها مشتقة متصرف فيها تصرف الألفاظ العربية.

وذكر ابن تيمية رحمه الله[٣] أ ن فظ "التوراة" قد يراد به الكتاب المعين: "توراة موسى" وقد يراد به جنس الكتب التي يقر بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك: الزبور ونبوة أشعيا وسائر النبوات غير الإنجيل، وهي قد حرفت وبدلت.

وهذا الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله هو في إطلاق أهل الكتاب، أما القرآن والسنة فليس مراداً بلفظ "التوراة" فيهما إلا كتاب موسى عليه السلام[٤].

وقد تكرر ذكر "التوراة" في القرآن كثيراً إما باسمه أو بالحديث عنه دون ذكر اسمه، وقد ور سمه لفظ ثما عشرة رة ال رآ ن و د سه ه الله: فرقاناً " في قوله: چ چ ڀ ي ڌ ڌ چ[٥] وكتب الله كلها فرقان لأنها مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل.

وتسمى فقرات التوراة آيات، كما في حديث ابن عمر، أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صـ الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى

---

[١] انظر التحرير والتنوير ٣/١٤٨، وقال ابن عاشور: "هذا جواب غير صحيح لأن الاسكندرية وزن عربي، إذ هو نسب إلى اسكندر، فالوجه في الجواب أنه إنما ألزم التعريف لأنه معرب عن اسم بمعنى لوصف اسم علم ٍ، فلما عربوه ألزموه اللام لذلك"لأن عدم التعريف تدخل على الأوصاف والنكرات لتصير أعلاماً بالغلبة مثل: العقبة.

[٢] الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٨٣.

[٣] حيحصلا بلوجا في ٣/٢٨١، وانظر تفسير المنار ٣/١٥٥.

[٤] انظر فسير لمنار ٣/١٥٦.

[٥] الأنبياء ٤٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عليه وسلم: **"ما تجد ذ في شـ ن الـ جم؟"** وفي سياقه: فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم(١).

وهذا كشأن فقرات كتب الله جميعاً تسمى "آيات"، قال الله بعد ذكر الأنبياء من ذرية آدم وإبراهيم: ﴿ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﴾(٢).

صفة نزول التوراة: كان الله قد كتب التوراة بيده سبحانه قبل خلق آدم بأربعين عاماً كما في حديث تحاج آدم وموسى عليهما السلام فقد ورد في سياقه: **"فقا آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً "**(٣) ثم أعطاه الله لموسى، وقد أُثِر عن طائفة من التابعين -كما يقول ابن تيمية- أن الله ناول موسى التوراة من يده إلى يده، وقال ابن تيمية: "وهو كذلك عند أهل الكتاب لكني لا أعلم غير هذا اللفظ مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم"(٤).

وقت نزول التوراة: جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث واثلة بن الأسقع أنه قال: **"أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان"**(٥).

هل بين التو اة والألـ ـاح والصـ ف رق: ذكر الله في القرآن "الألواح التي آتاها موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وذكر سبحانه "الصحف" التي آتاها موسى عليه السلام في سورتي النجم والأعلى.

وفي الروايات عن أهل العلم قول بأن موسى عليه السلام أعطي الألواح قبل التوراة(٦)، وعلى هذا فالألواح غير التوراة.

---

(١) متفق عليه، البخاري مع الفتح ٦/٦٣١ رقم ٣٦٣٥، مسلم ٣/١٣٢٦ رقم ١٦٩٩.
(٢) مريم ٥٨.
(٣) مسلم ٤/٢٠٤٣، ح
(٤) الفتاوى ١٢/٥٣٣.
(٥) أخرجه أحمد ٢٨/١٩١ رقم ١٦٩٨٤، حسنه الألباني في الصحيحة ٤/١٠٤ رقم ١٥٧٥.
(٦) مروي عن مجاهد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيها قول بأن التوراة كتبت في الألواح فهي هي، وليست الألواح شيئاً غير التوراة لأن لتوراة يها[1].

وهذا القول الثاني هو الذي عليه الجمهور الغالب، ويستأنس لترجيحه بقوله سبحانه: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[2] وذلك للمناسبة بين قوله "كتبنا" وبين ما ثبت في السنة من أن الله كتب التوراة بيده، وكذا لمناسبة عموم قوله في وصف الألواح أن فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء لأن تكون التوراة داخلة في ه ا العموم، أو أن تكون هي محتوى الألواح، ففي كلام أهل العلم وصف التوراة ب ن ف ا شيء كثير وطول حتى صعب على أهلها حفظها وأنه لم يكن يحفظها إلا عدة قليلة جداً من أنبياء بني إسرائيل، اثنان أو ثلاثة.

وأما لصحف فعلى حديث أبي ذر المذكور قريباً تكون الصحف غير التوراة، لأن فيه: "**وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف**" وق تق م أ ذا الح يث لا يحتج به.

وظاهر قوله سبحانه في وصف الألواح أن فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، يرجح أن تكون الصحائف من الألواح ليست شيئاً آخر، إذ ماذا عساها أن تحتوي إن كانت غير الألواح مع اشتمال الألواح لكل شيء؟! والله أعلم.

وقوله سبحانه "كل ء" في وصف المكتوب في الألواح يشمل كل ما يحتاج إليه لاستقامة الدين والدنيا، فيشمل الاعتقاد والأمر والنهي والحدود والأحكام والآداب والحكم والعبر ونحو ذلك[3].

ه ا، وإذا كان لتوراة الأ واح، ولا رق بينهما، فثمة إشكالٌ يرد على زمن نزول التوراة على موسى عليه السلام الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم -كما ت دم- أنه كا ل ت م ت م ر ضان.

فيكون هو زمن نزول الألواح، والألواح أنزلت بعد تمام الأربعين ليلة التي واعد الله موسى بعد إ ائ وقوم من ف عون وقومه، ف ن الله قال: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ إلى

---

[1] مروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وعطاء، انظر الدر المنثور ٣/١١٤ و ١٢٠-١٢١.

[2] الأعرا ف ١٤٥.

[3] انظر زاد المسير ٣/٢٥٨-٢٥٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ ز ال: چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ، قال: چ... ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ...چ[1]

فكان إيتاء موسى الألواح في تمام هذه الأربعين في المواعدة.

وهذه النجاة كانت في العاشر من محرم كما في حديث صيام يوم عاشوراء الثابت في الصحيح، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء قال: **"ما ه ا؟"** قالوا: هذ يوم صـ لح، ه ا وم ى الله بني إ ائي من عدوهم، فصامه موسى، فقال صلى الله عليه وسلم: **"فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"**[2]، وفي رواية: **"هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه"**[3] فالنبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهود على اعتبار العاشر من محرم هو يوم نجاة موسى عليه السلام ولم يكذبهم بهم بل خصه بالصيام موافقة لشرعة موسى عليه السلام.

ووجه الاستشكال: أن رمضان بعيد عن المحرم، فبينهما أكثر من أربعين ليلة، فكيف يكون زمن نزول الألواح غير زمن نزول التوراة وهما واحد؟! والجواب باحتمال أحد وجهين:

الأو ل: عدم منع بُعد المدة على هذا النحو، لأنه ليس في سياق القصة في الآيات ما يجزم له بوقوع المواعدة عقب النجاة مباشرة قريباً منها وما فيها إلا وقوع المواعدة بعد النجاة طلقاً .

الثاني: أن يكون يوم العاشر من محرم وافق عندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اليوم الذي يصومه اليهود موافقة وليس هو هو، لأن اليهود كانوا يحسبون لصيامهم بحساب الشمس. قال ابن القيم: "صـ م أ ل الكتاب إنما هو بحساب سير الشمس"[4] ونقل نحوه ابن حجر عن كتاب الآثار القديمة للبيروني[5]. ولكن يمنع هذا الاحتمال أنه لو صح لكان صيام عاشوراء في كثير من السنين غير موافق ليوم نجاة

---

[1] الأعرا ف ١٤٠-١٤٥.

[2] أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٤/٤٤، رقم ٢٠٠٤.

[3] هي ع د م لم ٢/٧٩٦ رقم ١١٣٠.

[4] زاد ا عاد ٢/٧٠.

[5] فتح الباري ٤/٢٤٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى عليه السلام فلا يكون صيامه محققاً لمقصود الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله: "**نحن حق وسى**".

ويشكل كذلك ما روي عن أئمة التفسير كمجاهد ومسروق وابن جريج ومروي عن ابن عباس[١] أن الثلاثين ليلة من المواعدة هي ثلاثين ذي القعدة، والعشر التي تم بها الميقات هي عشر ذي الحجة، فيكون إنزال التوراة على هذا القول وقع يوم النحر.

باوجا و: أ ن ذا مما ينقل عن أهل الكتاب للعلم به لا للاحتجاج فلا يعارض به ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يُرَدّ بما في الحديث.

ولكن إذا كانت التوراة غير الألواح، فلا وجه لهذه الإشكالات. والله أعلم.

محتويات التوراة:

أجمل الله محتويات التوراة في قوله: چ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳڳ چ[٢] ففيها الهدى والنور والحكم في الذين هادوا، فيها الملة والعقائد وأدلة الحق وأحكام التشريع،، وقد تقدم أن كتب الله مشتملة على الأصول الاعتقادية والعملية والسلوكية. وقد ذكر الله في كتابه بعض مفردات محتوياتها:

تلار فمن فم الاعتقاد فيها:

- الإخبار عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته ونسخ شريعتهم بشريعته، قال الله:

چ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ک ک کگ چ[٣].

- والإخبار عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم وضرب المثل لهم، قال الله:

---

[١] انظر الدر المنثور ٣/١١٤-١١٥.
[٢] الأعرا ف ١٥٧.
[٣] الأعرا ف ١٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

چ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ چ [1].

- والوعد بالجنة لمن يقاتل ويقتل في سبيل الله، قال الله: چ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ چ [2].
- الإخبار بفلاح من تزكى بطاعة ربه وطلب الآخرة، قال الله: چ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ چ [3].
- ومفردات الاعتقاد الواردة في قوله سبحانه: چ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ چ... الآيات إلى قوله: چ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ چ [4].

ومن مفردات التشريعات فيها:

- ا قصا وأحكامه قال الله: چ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ چ [5] فهذه في الحدود قال الأجور ولوزر: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ چ [6].
- و ن أ كام الأطع ة، قل الله: چ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ [7].

الزبور:

---

(1) الفتح ٢٩.
(2) التوبة ١١١.
(3) الأعلى ١٤-١٩.
(4) النجم ٣٦-٥٤.
(5) المائدة ٤٥.
(6) المائدة ٣٢.
(7) الأنعام ١٤٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو كتاب داود عليه السلام، وورد ذكره في القر ن مرتين: چ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ چ[١] . وهو بفتح الزاي، وقرأه حمزة بضمها[٢]. فالفتح على أنه كتاب واحد سمي به، والضم على أنه جمع زبور، كأنه في التقدير: آتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، يقال: زبرت الكتاب: جمعته. والفتح أولى لصحة معناه ولأن عليه الجماعة[٣].

زمن نزوله: تقدم في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "**وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان**".

محتوياته: يتضمن الزبور تشريعاً وأحكاماً، فقد كان دواد عليه السلام عاملاً بالتوراة يحكم بها في الذين هادوا، فكتابه تابع للتوراة، وإنما تضمن كما قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهما أذكاراً وتسابيح وتمجيد وثناء على الله وأدعية، وحكماً ومواعظ[٤]، وقد رو د بعض أئمة العلم كوهب بن منبه شيئاً مما ورد فيها[٥]. ولعل الحكمة في ذلك طلب ترقيق قلوب بني إسرائيل.

وقد ثبت في الصحيح: "**لقد خفف على داود القرآن فكان يأمر خيله لتسرج فيقرأ الزبور**"[٦]. فقيل لهذا الحديث إ الزبور يسمى قرآناً، وليس كذلك ، ب القرآ في الحديث اسم للقراء ة لا للمقروء ، ووجه ذلك أنه من قرأ الكتاب إذا نطق بالمكتوب فيه أو طا عه ، وأصل هذا المعنى من قرأ الشئ إذا أخرجه ، وهو أحد أصول معاني قرأ ، وسمي النطق بالمكتوب قرآنا لأن فيه استخراج لفظه من فم القارئ ، وأ قت المطا عة به لأن المطالع يستخرج صورة اللفظ ومعناه في ذهنه ، و (القرآ ن) من هذا لأصل اسم للقراءة ، فيقال : هذا قرآ ن فلان ، أ ي قرا ته ، ومنه هذا الحديث.

الإنجيل:

[١] النساء ١٦٣، والإسراء ٥٥.
[٢] انظر زاد المسير ٢/٣٥٥.
[٣] الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٠٣.
[٤] انظر الدر المنثور ٤/١٨٨.
[٥] انظر الدر المنثور ٤/١٨٨-١٨٩.
[٦] أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٦/٤٥٣ رقم ٣٤١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا اسم الكتاب المنزل على نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام، وقد تكرر ذكره في القرآن أحد عشر مرة.

والإنجيل لفظ سرياني مكون من كلمتين معناه: البشرى الحسنة. وقيل: رومي م ناه: الخبر الطيب. وقيل يوناني معناه: اللفظ الصحيح، أو البشارة، أو التعليم الجديد[١]. وقيل: عبري[٢]. وقيل هو عربي وفي اشتقاقه ثلاثة أقوال[٣]:

١- أنه مشتق من النجْل، وهو خروج الشيء من أصله وبروزه، ومنه قيل لولد الرجل: نجله، ويقال:نجلت البئر إذا نزّ ماؤها، وسم الإنجي به: إما لأنه تستخرج منه العلوم والحكم، أو لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ أو من التوراة.

٢- أنه مشتق من النَجَل وهو السعة، ومنه: عين نجلاء أي واسعة الشق، وسمي الإنجيل به لأنه تضمن سعة لم تكن لبني إسرائيل.

٣- أنه مشتق من التناجل وهو التنازع، سمي به لتنازع الناس فيه.

ولفظ الإنجيل يطلق في كلام الله على الكتاب الذي آتاه الله نبيه عيسى وأنزله عليه، ولكنه "يطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالأناجيل الأربعة، وعلى ما يسمونه العهد الجديد وهو هذه الكتب الأربعة مع كتاب أعمال الرسل (أ ي الحوا يين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا. أي على المجموع، فلا يطلق على شيء مما عدا الكتب الأربعة بالانفراد. والأناجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة في سيرة المسيح عليه السلام وشيء من تاريخه وتعاليمه، ولهذا سميت أناجيل، وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها وهم مختلفون في تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة"[٤].

وقت نزوله: تقدم في حديث واثلة بن الأسقع قوله صلى الله عليه وسلم: **"وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مض م رم ان"**.

محتوياته:

---

[١] التحرير والتنوير ٣/١٤٩ وتفسير المنار ٣/١٥٨.

[٢] البحر المحيط ٢/٣٧١.

[٣] انظر زاد المسير ١/٣٤٩ وإملاء ما من به الرحمن ١/٧٢، والبحر المحيط ٢/٣٧١.

[٤] تفسير لمنار ٣/١٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنجيل تابع للتوارة، ولكنه تضمن نسخ شيء منها كما في الآية: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[(١)] ، وغالب الإنجيل حكم وأمثال ومواعظ، وقد وردت فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وصفته والخبر بنسخ شريعته لشريعة بني إسرائيل، وفيه ذكر الصحابة وضرب المثل لهم، والوعد للمجاهدين، كما تقد ذكره في الكلام على التوراة.

وهذه الكتب الثلاثة معروفة في الناس، موجود في الكنائس نسخها المتداولة في اليهود والنصارى، ولكنها محرفة كما سيأتي بيانه.

صحف إبراهيم عليه السلام:

ذكر الله صحف إبراهيم في موضعين من كتابه، في النجم: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ[(٢)] ، وفي الأعلى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[(٣)] .

وقد أنزلت على إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان كما في حديث واثلة المتقدم.

وقد دل كتاب الله على أن صحف إبراهيم عليه السلام لم تكن معروفة عند العرب قبل الإسلام مع انتسابهم لإبراهيم عليه السلام ودعواهم أنهم على ملته، قال سبحانه: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[(٤)].

فهذه الآيات في مخاطبة المشركين وبيان إقامة الحجة عليهم بالقرآن وأنه أنزل إليهم حتى لا يعتذروا عن شركهم بالله بأن الكتاب إنما أنزل على الطائفتين اليهود والنصارى، وأنهم لم ينزل عليهم كتاب. فهذا يدل على أنهم ما كانوا يعرفون إلا كتابي اليهود والنصارى، وهذا يدل على أن صحف إبراهيم لم تكن معهودة معروفة لديهم، فلعلها لم تكن موجودة، فتكون قد بادت، إلا أن عدم معرفة العرب لها لا يمنع معرفة غيرهم، ووجودها عند غيرهم، على أنه لا ريب في دخول التحريف فيها لو كانت موجودة معروفة عند بعض الخلق. وقد قال النووي: "فأما المتمسكون بكتب سائر الأنبياء الأولين كصحف شيث وإدريس وإبراهيم

---

(١) آل عمران ٥٠.
(٢) الآيتين ٣٦-٣٧.
(٣) الآيتين ١٨-١٩.
(٤) الأنعام ١٥٥-١٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وزبور داود صلوات الله عليه وسلامه عليهم فلا تحل مناكحتهم على الصحيح"[١] قاله في أصناف الكفرة الذين لا تحل مناكحتهم، وكأنه كان يُعهد في عصره من يتمسك بهذه الكتب ومنها صحف إبراهيم، فكأنها كانت موجودة ولكن بأيدي كفرة مع تمسكهم بها، فهذا شاهد على تحريفها لو كانت موجودة، وقد حرفت التوراة والإنجيل ال هد بهـ أ رب من لعهد بصحف إبراهيم.وقد ذكر ابن النديم عن رجل من موالي هارون الرشيد جمع كتاباً قال: إنه جمعه من كتاب الصابئة المنتسبون إلى إبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف[٢].

تحريف ا توراة و لإنجيل:

لقد حرف أهل الكتاب كتاب الله الذي استحفظهم عليه، ولم تبق التوراة والإنجيل على هيئتها التي نزلت بها على النبيين الكريمين، وهذا التحريف أثبته الله في كتابه، وقد كان اعتداء أهل الكتاب على كتابهم على درجات مذكورة في القرآن:

- فهم قد نسوا حظاً من كتابهم، قال الله في بني إسرائيل: چ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ[٣] وقال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ چ[٤] وهذا النسيان شامل لنسيان العمل بالترك ونسيان العلم بأن نسوه وضاع عنهم[٥].
- ثم ما لم ينسوه فقد كتموه، قال الله: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ چ[٦] وقال سبحانه فيهم: چ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ چ[٧].
- ثم ما لم يكتموه حرفوه عن مواضعه، قال الله: چ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ چ[٨].

---

[١] روضة ال البين ٧/١٣٥.
[٢] الفهرست ٣٢.
[٣] المائدة ١٣.
[٤] المائدة ١٤.
[٥] انظر تفسير ا سعدي للآية.
[٦] الأنعام ٩١.
[٧] البقرة ١٤٦.
[٨] المائدة ١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا التحريف وقع منهم في التلاوة باللسان كما قال الله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[١] وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ[٢] ،ووقع التحريف في الكتابة أيضاً، قال سبحانه: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[٣] .

وتحريف أهل الكتاب كتابهم وقع منهم في ألفاظه وفي معانيه، ودليل ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قيل لبني إسرائيل {ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم} فبدلوا، فدخلوا على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة**"[٤].

وقد حرف أهل الكتاب كتابهم مع علم ٍ وقصد، فهم تعمدوا التحريف، قال الله: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ[٥] ، وقال: ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[٦] وقال: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[٧] ، وقد وقع منهم زيادة أدخلوها على الكتاب مع ما نقصوه منه[٨].

اختلاف أهل العلم في صورة تحريف أهل الكتاب كتابهم:

(١) النساء ٤٦.

(٢) آل عمران ٧٨.

(٣) البقرة ٧٩.

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٨/٣٠٤ حديث رقم ٤٦٤١.

(٥) البقرة ٧٥.

(٦) آل عمران ٧٨.

(٧) البقرة ٧٩.

(٨) انظر الفصل ٢/٦٩-٦٩، الجواب الصحيح ٢/١٨-٢٨، وإغاثة اللهفان ١/٣٤٥ وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد أجمع أهل العلم على وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب، ولكن اختلفو في صورة وقوعه على قولين:

- فذهب بعضهم إلى القول بأن التحريف وقع في المعاني والتأويل لا في اللفظ والتنزيل، وهذا قال به طائفة من أئمة الحديث والفقه والكلام كما يقول ابن القيم[١]. وقد قال به البخاري في صحيحه فقد قال: "يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله"[٢] وذكر ابن حجر أنه نسب إلى وهب بن منبه بل ولابن عباس أيضاً[٣]. قد ذُكر لهذا القول عدد من الحجج[٤]، منها:

أ- قوله سبحانه: چ ئى ئد ی ی ي ئج ئح ئم ئى چ[٥] فالله قضى أن أن لا مبدل لكلماته، وخبر الله لا ينتقض، ولكن يجاب عنه أن الآية هنا في القرآن الموحى لمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد تكفل الله بحفظه فلا يقع فيه تبديل قط، أما التوراة والإنجيل فاستحفظ عليها أهلها ولم يتكفل الله بحفظها فبدلوا وإن قيل : العبرة بعموم قوله «لا مبدل لكلمات الله» فيكون الجواب : أ ن ذا أ ر في ص رة لخبر ، و لمـ اد لا ت د وا ـات الله . والله أعلم .

ب-واحتج له بآية: چ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ چ[٦] ولو حرفت لفاظها ا أم هم أ ن يحكم ا به ويخبر أنه ما أنزل الله فيه.

ج- وكذا بآية: چ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چ[٧] فلو كانت بدلت ألفاظها ما ال ذا.

---

[١] إغاثة اللهفان ٢/٣٥١.
[٢] الصحيح مع الفتح ١٣/٥٢٢.
[٣] فتح الباري ١٣/٥٢٥.
[٤] انظر إغاثة اللهفان ١/٣٥٣ وما بعدها، والبداية والنهاية ٢/١٤٧-١٤٨، وفتح الباري ١٣/٥٢٣-٥٢٤.
[٥] الكهف ٢٧.
[٦] المائدة ٤٧.
[٧] آل عمران ٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د- وكذا بآية: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[١] فأحال إلى المكتوب فيها فلا تكون ألفاظها حرفت مع هذا.

ونظائر هذا، والجواب عنه بأن هذه الآيات فيما لم تتبدل ألفاظه كنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب متابعته، وكثبوت النسخ في كتابهم ونحوه مما لم يدخله التحريف، وهو لا يمنع أن غيره حرف بدل.

ولهذا القول ذهب بعض الفقهاء إلى القول بعدم جواز لمس الجنب التوارة وإنزال حكم الطهارة للقرآن على التوراة الموجودة[٢].

- وذهب جمهور أهل العلم إلى أن التحريف وقع في الألفاظ والمعاني جميعاً كما ثبتت بهذا الأدلة من كتاب الله التي تقدم ذكر طرف منها.

والموجود في التوراة والإنجيل الآن مما يكذبه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكون مما أنزل الله قط[٣].

ولكن هذا التحريف لم يقع فيها جميعها بل بقي فيها مما أنزل الله على هيئته التي أنزلت لم يحرف وهذا كالمذكور في الآيات التي استدل بها للقول الأول. وكما في حديث الرجم الذي تقدم وفيه: "فوضع يده على آية الرجم".

وقد نقل بعض المتأخرين قولاً بأنها بدلت وحرفت كلها حتى لم يبق منها شيء مما أنزل الله، وهو مقتضى القول المحكي بجواز الامتهان[٤].

الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل:

الواجب على المسلم الإيمان بالأصول الأولى للكتابين التي أنزلت على النبيين الكريمين على الوجه الذي تقدم ذكره في صفة الإيمان بالكتب، وأن يعتقد أنها لم تبق كما أنزلت بل دخلها التحريف والتبديل، فاختلط ما أنزل فيها من الله مع ما أحدث فيها، وعليه فما دل كتابنا على صحته وصدقه مما فيها فهو مما أنزل الله، وما دل كتابنا على بطلانه وكذبه بدليل من كتابنا فالمنهج فيه ما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

---

[١] الأعرا ف ١٥٧.
[٢] انظر البداية والنهاية ٢/١٤٩.
[٣] اظر الفصل لابن حزم ، ٢/٢ وما بـ دها . وإغاثة اللهفان ٢/٣٥٤ وما بعدها ففيها نماذج للتحريف الواقع.
[٤] فتح الباري ١٣/٥٢٣. وانظر فتاوى السبكي ٢/٣٣٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسلم: **"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم} الآية"**[1].

وهذه الجملة فيها الاحتياط التام لصحة الإيمان، فإن كان ما في كتابهم مما لم يقم دليل في كتابنا على صحته صحيحاً فإن هذه الجملة تقتضي إيماننا به وسلامتنا من تكذيب ما أنزل الله، وإن كان كذباً فإن هذه الجملة تقتضي تكذيبنا له وبراءتنا من الإيمان بكذب لم ينزله الله.

طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب وأحكامها:

لا طريق للعلم بما في كتب أهل الكتاب مما لم يرد ذكره عنها في كتابنا وعلى لسان نبينا صلى الله عليه وسلم إلا واحد من ثلاث طرق:

الأول: أن يخبرونا هم به، يبتدؤوننا بذلك، لا بطلب منا، فهذا هو الذي ورد فيه حديث أبي هريرة المذكور وتمامه:

قال أبو هريرة: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم}"**. فلم يمنع صلى الله عليه وسلم هذه الطريق وعلمنا ما نقوله إذا أخبرونا.

الثاني: أن نبتدئ نحن بسؤالهم فيخبرونا جواباً لنا، وهذا محرم أصله، فلا يجوز سؤال أهل الكتاب عن شيء، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عنه، ففي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"** وهذا ورد في سياق القصة المشهورة أن عمر رضي الله عنه نسخ كتاباً من التوراة بالعربية جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم[2].

---

[1] أخرجه البخاري ١٣/٣٣٣ ح ٧٣٦٢.

[2] هذا حديث كثرت طرقه وهي كما يقول ابن حجر في الفتح ١٣/٥٢٥: "وهي إن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً"، انظر الحديث في: المسند ٢٢/٦٤٨ رقم ١٤٦٣١ و٢٣/٣٤٩ رقم ١٥١٥٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٩/٤٧ رقم ٦٤٧٢، ومصنف عبد الرزاق ٦/١١٣ رقم ١٠١٦٤، وشعب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرءونه محضاً لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا بهثمناً قليلاً، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[1] وهذا تشديد في النهي والإنكار.

وورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فـ نهم ن يهد كم قد ضـوا"[2].

فهذا هو الأصل في هذه الطريق، التحريم، ولكن إذا قامت ضرورة شرعية تدعو إلى ابتدائهم بالسؤال فإن الضرورة تقدر بقدرها، ويجوز عندها ابتداؤهم بالسؤال على القدر الذي يحصل به قضاء الحاجة الشرعية، ومن هذا الباب ورد قوله سبحانه: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[3] فإن الله برره في أول الآية بقوله: چ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ فالسؤال متعلق بصحة الرسالة، وهذه موجودة في التوراة مما أنزل فيها ولم يدخله تحريف[4]. لاؤ سدلض رغو رفع الحرج من صدر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ چ[5]، هذا مع أن بعض أهل العلم حمل قوله: چ ۉ ۉ ې چ على أن المرد ن آمن منهم[6] فلا يكون سؤالاً لأهل الكتاب بل لمؤمنين كانوا أهل كتاب قبل إيمانهم، ثم إنه قد روي عن جماعة من أئمة العلم والهدى كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم أن النبي

الإيمان ١/٢٠٠ رقم ١٧٧. وقد علقه البخاري في الصحيح فقال في كتاب الاعتصام: "باب قول الـبي صلى الله عليه وسلم "**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**".

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ١٣/٣٣٣ رقم ٧٣٦٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٦/١١٢ رقم ١٠١٦٢ وابن أبي شيبة ٩/٤٨ رقم ٦٤٧٥. وحسنه ابن حجر في الفتح ١٣/٣٣٤.

(٣) يونس ٩٤.

(٤) انظر فتح الباري ١٣/٣٣٤، وتـسير السعدي للآية.

(٥) الأعرا ف ٢.

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٨٦ رقم ١٠٥٨٤ و١٠٥٨٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسأل[١]. وإنما هذا لإقرار ارتفاع الشك وإقرار الورود في كتب أهل الكتاب، فهو كقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[٢] والأنبياء لا يكون منهم الشرك ولكن هذا لإقرار إحباط العمل بالشرك، ومن باب ابتداء أهل الكتاب بسؤالهم عما في كتابهم مع قيام المقتضى الشرعي قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرجم ا تقدم: **"ما تجدون في ذلك عندكم في التوراة"**.

الثالث: قرا ة كتبهم والنـ ر فيها: نقل السبكي عن جماعة من الشافعية في مسألة هل يجوز النـ ر في التـ راة والإ يـ ، أنه: لا يحل إمساكها، بل إن كانت على جدار ونحوه غسلت[٣]. ونقل ابن مفلح عن الإمام أحمد وعدد من الحنابلة إنكار ذلك حتى قال أحمد للمروذي: هذه مسألة مسلم ؟! و ضب حمه الله[٤].

وقد حكى ابن حجر عن الزركشي دعوى الإجماع على أن ذلك محرم، والاستدلال له بحديث قصة عمر رضي الله عنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بيده نسخة من التوراة فغضب، الذي تقدم ذكره. وتعقبه ابن حجر بما نصه: "والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولى في هذه المسالة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الرا ين في الإ ان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ولاسيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه، وأما استدلاله للتحريم بما ورد من الغضب ودعواه أنه لو لم يكن معصية ما غضب منه، فهو معترض بأنه قد غضب من فعل لمكر ه، ومن عل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك، كغضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة، وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح مثل الذي سأل عن لـ طة ا بل، وقد تـ دم في "كتاب العلم": ا غضب في الموعظ ، ومضى في "كتـ ب الأد ـ ":

---

[١] انـ ر المرجع السا ق رقم ١٠٥٨٣ وتفسير ابن جرير ٧/١١٥-١١٦ والدر المنثور ٣/٣١٧.

[٢] الزمر ٦٥.

[٣] فتاوى السبكي ٢/٣٣٩، الفروع ٢/١٠٦-١٠٧.

[٤] الفروع ٢ / ١٠٦ – ١٠٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يجو م ال ضب"[١] وحاصل الأمر أن دعوى الإجماع على التحريم محجوجة بعمل الأئمة.

ثم يلا ظ في ه ه الم ألة شرطان:

الأو ل: أن يكون النظر لمصلحة شرعية تقتضيه. فهذا ط في لنظر.

الثاني:أن يكون الناظر راسخاً في العلم في مأمن أن يلتبس عليه باطل هذه الكتب، وهذا شرط في ا نظر.

التحديث عن بني إسرائيل:

إذا حصّل المسلم من كتب بني إسرائيل شيئاً مما فيها بأحد الطرق الثلاثةالمذكورة آنفاً فهل يحدِّث به؟!

والجواب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرايل ولا حرج**"[٢]، فف الحدي الإذن في التحديث عن بني إسرائيل، ورفع الحرج في ذلك، وقد ذكر ابن حجر أقوالاً في معنى "الحرج" في الحد ث[٣].

ومن المستقر المعلوم أنه لا يجوز التحديث عنهم بما قام الدليل على كذبه، كما قال الشافعي: "من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب"[٤] ويدل له الأدلة العامة في النهي عن الكذب، وإنما يجوز ذكر كذبهم لداعٍ شرعي كبيان ما هم عليه من فساد ونحوه. ثم ما قام الدليل في كتابنا على صحته مما في كتابهم فلا حاجة للتحديث به عنهم، لاستغنائنا بكتابنا، إلا إن دعت ضرورة شرعية لروايته عنهم، كإقامة الحجة عليهم كما في قوله: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [٥] .

---

[١] فتح الباري ١٣/٥٢٥-٥٢٦.

[٢] أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٦/٤٩٦ ح٣٤٦١.

[٣] انظر فتح الباري ٦/٤٩٨.

[٤] نقله ابن حجر في الفتح ٦/٤٩٩.

[٥] ن ر عمرآن ٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلم ‍بـ إلا ا لم يم لي في تابنا على كذبه أو على صدقه، فهذا هو الذي يظهر أنه موضع الإذن بالتحديث به عنهم، وهو ما كان حكمه أن نقول فيه: **"آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم"** كما في حديث أبي هريرة المتقدم.

وعلى هذا فإن التحديث عنهم إنما يكون لمجرد العلم أو للاعتبار ولا يكون للاحتجاج والاستدلال، ولذا كان غالب ما يرويه أهل العلم عن بني إسرائيل إنما هو من قبيل تفسير مبهم في كابنا أو صص يها ظا وحكم، و و هذا.

هل للمجوس كتاب ؟ وماكتابهم إ ذ كانوا أهل كتاب ؟ :

اختلف أهل العلم في المجوس ، هل هم أهل كتاب ؟[1] ، ومورد اختلافهم النظر في علة حكم النبي صلى الله عليه وسلم في مجوس البحرين و هجر ، فقد ثبت في الصحح عنه صلى الله عليه وسلم أنه فرض عليهم الجزية وأخذها منهم [2]،وفعله بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وهذه سنة أهل الكتاب جعلها الله فيهم وقد قال سبحانه :

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [3] ومنطوق الآية دال على مشروعية الجزية مع أهل الكتاب ، ومفهومها أن غيرهم لا يشاركهم فيها ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في المجوس : (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[4]، لوق أ ةلاث لمهفي لمو :

---

[1] أنظر : شرح مشكل الآثار للطحاوي ٥/٢٥٩-٢٦٩، والتمهيد لابن عبدالبر١١٤-١٢٦، والفتاوى ٣٢/١٨٧-١٩٠، وفتح الباري ٦/٢٥٩-٢٦٢.

[2] أنظر صحيح البخاري ، ح ٣١٥٧ الصحيح مع الفتح ٦/٢٥٧.

[3] التوبة ٢٩.

[4] أخرجه بسند منقطع مالك في الموطأ ١/٢٧٨،وانظر التمهيد لابن عبدالبر ٢/١١٤-١١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأو ل : أنهم هل تاب ولكن كتابهم ر ُفع فليس هو بأيديهم ، وهو مروي عن علي رضي نه[1] ، وعن حذيفة ر الله عنه ، وسعيد بن المسيب وقتادة وأبو ثور ، وهو قول الشافعي ،وعقد البيهقي باباً قال : (باب : المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم)[2] ، وقد روي في المرفوع عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي عن فظ: (إنما المجوس طائفة من أهل الكتاب فاحملوهم على ما تحملون عليه أهل الكتاب)[3] ، وحجة ه ا لقول الآية ع ا ديث ؛ فالجزية لا تقبل من غير أهل الكتاب وقد أخذت من المجوس فهم أهل كتاب ، والمروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (كان المجوس أهل كتاب يقرءونه وعلم يدرسونه فشر أم هم الخم فوقع على أخته ، فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم ، ثم ال م : قد علمتم أن آدم أنكح بنيه بناته ، فأطاعوه ، وقتل من خالفه ، فأسري على ما في قلوبهم وعلى كتابهم فلم يبق منه شئ)[4] .

الثاني :أن المجوس ليسوا أهل كتاب ، جزم به مالك[5] ، والزهري وعطاء[6] ، واحتج له ابن عبدالبر بأن قوله: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) فيه الدليل على أنهم ليسوا أهل كتاب ،ولكن أ ُلحقوا بهم في الجزية خاصة لاغير ، وقد اجتمع علماء المسلمين على عدم حل نسائهم وذبائحهم كما قد حلت من أهل الكتاب ، فهم ليسوا أهل كتاب وإنما سن بهم في الجزية خاصة سنة أهل الكتاب وليسوا منهم ، وبأن من أهل العلم كأبي حنيفة والأوزاعي ومالك والزهري قالوا بأخذ الجزية من سائر الكفار ومن لا دين له ولاتقبل من العرب إلا من كتابي ، وروى في سياق احتجاجه أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان منهم من العرب ، وأن عمر رضي الله عنه أخذها من أهل السواد

(١) في رواية ذكرها ابن حجر في الفتح٦/٢٦١- ٢٦٢ عن عبد بن حميد في تفسيره وقال ابن حجر: (بإسناد صحيح) .

(٢) في السنن الكبرى ٩/١٨٨.

(٣) نقله صاحب التنقيح عن ابن أبي عاصم وقال :(في إسناده من يجهل حاله).

(٤) أخرجه الشافعي في مسنده – ترتيب المسند ٢/١٣١- وعبدالرزا ق ٦/٧٠ قال ابن حجر : (وغيرهما بإسناد حسن) الفتح ٦/٢٦١ ، ونقل ابن حجر نحوه عن تفسير عبد بن حميد وذكر أن إسناده صحيح ، وقد قال ابن تيمية في حديث علي هذا : (هذا الحديث قد ضعفه أحمد وغيره) الفتاوى ٣٢/١٨٩.

(٥) أنظر فتح الباري ٦/٢٦١.

(٦) أنظر مصنف عبدا رزا ق٦/٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وعثمان من البربر ، فصار مشركوا العرب هم المخصوصون بعدم قبول الجزية منهم ، ثم هي تقبل ممن عداهم مطلقاً ولا خصوصية لأهل الكتاب بها ، ويكون أخذها من المجوس لدل على ترك مفهوم آية التوبة .

ويكون الأمر كما قال أبوعبيد :(ثبتت الجزية على اليهود والنصارى بالكتاب وعلى المجوس بالسنة)[1].

واحتج له أيضاً بالآية : {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} [2]، فلم يكن عند نزول القرآن أهل كتاب إلا الطائفتين اليهود والنصار . وأنزل القرآن كراهة أن يقول المشركون ذلك ومنعاً لأن يحتجوا به ودفعاً لأن يقولوه يتعذروا به ، فلو كان ثمت أهل كتاب غيرهما لكان هذا القول كذباً . و أهل الكتاب هم أهل التوراة والإنجيل لا غير فإن الله يقول : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [3] ويقول : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [4].

واعتبر ابن عبدالبر ألاّ داعٍ للإكثار في هذ الأ ر.

وقد أُجِيبَ عن احتجاج ابن عبدالبر بآية الأنعام (بأن المراد مما اطلع عليه القائلون وهم قريش ، لأنهم لم يشتهر عندهم من جميع الطوائف من له كتاب إلا اليهود والنصارى ، وليس في ذلك نفي بقية الكتب المنزلة كالزبور وصحف إبراهيم وغير ذلك)[5].

---

(١) للولأ ا ٣٦.

(٢) الأنعام١٥٥-١٥٦.

(٣) نا رعمل آ ٦٥.

(٤) المائدة ٦٨.

(٥) قاله ابن حجر في الفتح ٦/٢٦٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وزاد ابن تيمية حجة أخرى لكون المجوس ليسوا أهل كتاب فقال :(وأيضاً فإنه قال : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [١] فذكر الملل الست ، وذكر أنه يفصل بينهم يوم القيامة ، ولما ذكر الملل التي فيها سعيد في الآخرة قال : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً} في موضعين[٢]، فلم يذكر المجوس والمشركين ، فلو كان في الآيتين لما تين سعيد في الآخرة كما في الصابئين واليهود والنصارى لذكرهم ، فلما كان لهم كتاب لكانوا قبل النسخ والتبديل على هدى ؛ وكانوا يدخلون الجنة إذا عملوا بشريعتهم ، كما كان اليهود والنصارى قبل النسخ والتبديل ، فلما لم يذكر المجوس في هؤلاء علم أنه ليس لهم كتاب ، بل ذكر الصابئين دونهم ، مع أن الصابئين ليس لهم كتاب ، إلا أن يدخلوا في دين أحد من أهل الكتابين ، وهو دليل على أن المجوس أبعد عن أهل الكتاب منهم)[٣].

واعتبر ابن تيمية النزاع في كون المجوس ليسوا أهل كتاب شاذاً .

الثالث: أن للمجوس شبهة كتاب ، وهذا قول ظهر عند متأخري أهل العلم ، قال النووي في ذكره أصناف الكفرة : (من له كتاب لهم لكن لهم شبهة كتاب ، وهم المجوس)[٤]، وهذا لكونهم ليسوا أهل كتاب بأيديهم ، لامبدل ولا غير مبدل ولا منسوخ ولا غير منسوخ ، وقد كان لهم كتاب ورفع .

وقد تعقب ابن بطال ذلك بقوله : (لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم)[٥]، قال ابن حجر : (الجواب أن الاستثناء وقع تبعاً للأثر الوارد

---

[١] الحج ١٧.

[٢] البقرة٦٢ و المائدة ٦٩.

[٣] الفتاوى ٣٢/١٨٧-١٨٨.

[٤] روضة الطالبين ٧/١٣٥. وانظر المغني لابن قدامة ١٣/٢٠٤ والفتاوى ٣٢/١٨٩.

[٥] نقله عنه ابن حجر في الفتح ٦/٢٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ذلك ، لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم ، بخلاف النكاح فإنه مما يحتاط له)[١]، فلما كان الأصل في الأبضاع واللحوم حرمتها حتى تثبت صحة عقد النكاح وصحة ذكاة اللحوم احتيط للحوم المجوس ونسائهم بالحرمة لعدم البينة في حلها وبخاصة أن كتابهم قد رفع فهم لا يتعبدون بشرع إلهي ، وأما دماؤهم فحكم الشرع بحقنها بالجزية ، وهو موافق للاحتياط في الدماء أن تحقن إذا قامت شبهة تقتضي ذلك ، وهم عندهم شبهة كتاب .

ومشتهر عند أهل العلم انتساب المجوس لنبي لهم يؤمنون به يقال له (زرادشت) وأن لهم شرائع يضيفونها إليه [٢] قال ابن كثير : (والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي يقال له زرادشت ، ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم)[٣]، وذكر ابن حزم أن كتاب المجوس وشريعتهم كان طوال مدة دولتهم حتى أحرقه الاسكندر أيام غلبته ، قال : (وهم مقرون بلاخلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث ، ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم)[٤]، ، وقال : (وأما المجوس فإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه الاسكندر إذ قتل دارا بن دارا ، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر ، وأنه لم يبق منه إلا أقل من الثلث ، وأن الشرائع كانت فيما ذهب ، فإذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة ، لذهاب جمهوره ، وأن الله لايكلف أحدا مالا يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه) قال : (وكتابهم الذي بقي بعدما أحرق الاسكندر ثلاثة وعشرون هربذا) وذكر بعض مافيه من الكذب والأباطيل ، واستدل بأحوال كتابهم على القطع بأنه مبدل محرف[٥].

فهذا قول بأن كتابهم ذهب بإحراق الاسكندر له ، ولكن ما في حديث علي رضي الله عنه من أنه أسري عليه ورفع فلم يبق منه شئ أحق بالقبول ، فلايكون لهم كتاب بأيديهم لا صحيح ولا مبدل ، وما كان يعرف للمجوس من شئ ما بأيديهم فلا يكون من كتاب إن صح أن لهم كتابا ، ولا يقال فيه إنه مبدل محرف ، إذ لا أصل له ، فيكون وضعا وضعوه .

---

[١] الفتح ٦/٢٦٢.
[٢] أنظر الفصل لابن حزم ١/٣٤ و ١١٣.
[٣] التفسير ١/٥٧٣.
[٤] الفصل ١/١١٣.
[٥] الفصل ١/١١٥-١١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر الباقلاني ما يدل على مايدل عليه كلام ابن حزم من أنه يُعرف للمجوس شئ بأيديهم ينسبونه إلى كتاب فقد قال :(فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت وكتب ماني زازجهم ، قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني من طرق النيرنجات – [كالسحر وليس به] – وضروب من الشعوذة ليس فيها إعجاز ، ويزعمون أن في الكتاب الحكم ، وهي حكم منقولة متداولة على الألسن لا تخص بها أمة دون أمة ، وإن كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجمعا لأبوابها)[١].

القرآن الكريم :

(القرآن) اسم الكتاب المنزل على نبي الله ورسوله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ،قال الله يسميه: { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا } [٢] وقال : { وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [٣] وقال : { وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ } [٤] ، وقد ورد اسم (القرآن) نحوا من خمسين مرة في كتاب الله.

وهو مصدر قرأ قرأ ، وهو معان ، أحدها : الجمع ، من قرأ لشئ إذا جمعه ، وكل شئ جمعته قد قرأته ، ومن هذا المعنى تسمية القرآن ، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[٥] .

ويطلق اسم القرآن على المكتوب في المصاحف ، كما يطلق على المقروء ، ويطلق على بعضه كما يطلق على كله ، فهو مشترك لفظي.

وفي لفظ (القرآن) وجهان وردت بهما القراءة في المتواتر ، الأول : القرءان ، بالهمز والمد ، وهو قراءة الجمهور ، وهو على الأصل في الكلمة فإنه بالهمز.

---

(١) إعجاز القرآن:٥٥.
(٢) الأعراف ٢٠٤.
(٣) التوبة ١١١
(٤) يس ٢.
(٥) أنظر مقاييس اللغة لابن فارس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والثاني : القرآ ن ، بالمد دون همز ، وهو قراءة ابن كثير المكي وصلا ووقفا ، و زة في الوقف ، وعلته : إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفها استخفافا [١]، وذهب إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين ــ شيخ الشافعي ــ إلى أ ن (القرآ ن) غير مهموز ، ولا يطلق إلا غير مهموز وهي القراءة لاغير ، ولم يؤخذ من (قرأ ت) ، قال : ولو أخذ من (قرأ ت)كان كل ما قرئ قرآنا ــ أي فلم يختص باسمه ــ ولكنه اسم للقرآن ، مثل التوراة والإنجيل [٢].

وسمى لقرآن بأسـ ء ، منها : **{الذكر}** ، في قوله **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (الحجر:٩) ، وقوله : **{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ }** (النحل: من ا ية٤٤) ، وحكى عن المشركين معرفتهم إياه بهذا الاسم فقال : **{ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ }** (الحجر: من ا ية٦) ، وورد تفسير معنى هذا الاسم في قوله تعالى : **{ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ }** (ّ :١) . ومنها : **{ الفرقان}** ، في قوله **{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }** (الفرقان:١) ، وسماه به لاشتماله على مافيه الفرقان بين الحق والباطل ، وبين الـ دى وا ضلال ، وبين الإيمان والكفر ، وبين الحـ ل وا رام .

وقد جمع بعض أهل العلم أسماء للقرآن ، وأنهاها بعـ هم إلى نيف وتسعين اسما[٣]، ولكن يغلب على أكثرها الوصف لا التسمية.

وجاء في آثار ورود ذكر القرآن في التوراة باسم : (التوراة) و باسم : (الإنجيل) ، فعن كعب الأحبار أنه قال : (في التور ة : يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة)[٤] ، وورد

---

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع
(٢) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٣.
(٣) أنظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٧٣.
(٤) عزاه السيوطي في الإتقان ٢/٣٤٥ إلى ابن الضريس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرفوعا وموقوفا أن موسى عليه السلام قال (يارب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدو هم فاجعلـ م أمتي ، قال : تلك أمة أحمد)[١]، ولكن هذا محمول على مخاطبتهم بما يعرفوز بلسانهم .

صفة نزوله:

صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآن أنزل جملة واحدة ليلة القدر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا مدة نبوته حتى مات صلى الله عليه وسلم على السنين بحسب الوقائع والأحداث[٢].

وقد كان نزول القرآن جملة واحدة في شهر رمضـن ، كـ قا الله : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } (البقرة: من ا ية١٨٥) وفي ليلة القدر منه خاصة كما قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } (القدر:١) ووافقت ليلتها ليلة خمس وعشرين كما تقدم في حديث واثلة بن الأسقع إذ فيه أن القرآن أنزل لأربع وعشرين يوما خلت من رمضان . وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا)[٣].

ونقل عن الشعبي أن ابتداء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم كان في ليلة القدر ثم نزل منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات[٤].

---

(١) أنظر الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ١١- ١٤ ، والإتقان ٢/٣٤٥.

(٢) أنظر المستدرك ٢/٢٢-٢٢٣ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٣/٣٢٠ ، وقد صحح ابن حجر أسانيد الحديث في الفتح ٩/٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢٢ وقال : على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهي في الشعب ٣/٣٢٠ وفي الدلائل ٧/١٣١ ، وقال ابن حجر في الفتح ٩/٤ : (إسناده صحيح).

(٤) أنظر ا تقان ١/ ٢٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد باشر إبلاغه للنبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، قل الله : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } (الشعراء:١٩٣-١٩٤) ، وكان عليه السلام كما ثبت في الصحيح [١] يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل عام مرة في شهر رضان ، وعارضه في العام الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان أكثر إنزاله على النبي صلى الله عليه وسلم قرب و اته ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (إن الله تعالى تابع على رسوله الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢] ، وسبب ورود هذا عن أنس رضي الله عنه ما نقله ابن حجر من تاريخ مصر لابن يونس عن الزهري : (سألت أنس بن مالك : هل فتر الوحي عن النبي قبل أن يموت ؟ قال : أكثر ماكان وأجمه) ، قال ابن حجر : ا سر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك[٣] .

وقد كان الوحي في أول البعثة فتر فترة ثم كثر ، و أ ناء ا نزو ل بمكة لم ينزل م السور ل يـلة لاا لا إلطا ا ، ثم بعد الهجرة نزلت السور الطوال المشتملة على غالب الأحكام ، إلا أنه كان الزمن الأخير من الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولا.

وقد نزل القرآن بلسان العرب : كما قال سبحانه : { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (الشعراء:١٩٥) وقال : { وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } (النحل: من ا ية١٠٣) وقال: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً } (يوسف: من ا ية٢) ، أي بلسان العرب جميعا على اختلاف لغاتهم .

---

[١] أنظر صحيح البخاري – مع الفتح – ٩/٤٣ ح ٤٩٩٧و٤٩٩٨.

[٢] أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ٩/٣.

[٣] الفتح ٩/٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله : (نزل القرآن على سبعة أحرف)[١] و تواتر هذا عن النبي صلى الله عليه سلم [٢] ،فهو على لغات العرب مبينا لهم بينا عندهم ، فهو بل انهم يخت لغة فيهم بل بلسانهم جميعا على لغاتهم ، وماورد في البخاري عن عثمان رضي عن أنه ال حين أمر جماعة من الصحابة بنسخ المصاحف: (إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن أنزل بلسانهم)[٣] حمله أهل العلم على أن المراد ابتداء نزوله ، ثم نزل بلغات غيرهم ، فرأ ضي عنه أن الحرف الذي نزل القرآن به أولا أولى بالحمل عليه ، و نه لسان ا بعوث صلى الله عليه وسلم [٤] ، و اهد ه ا ثباته ضي الله عنه في سياق كلامه أن في القرآن عربية غير عربية قريش ، وإلا فما محل قوله: (إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن) فجعلها عربية ا قرآ ن ؟.

كتابة الر ن في عه النبي صلى الله عليه وسلم :

كان القرآن إذا نزل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الذين اتخذهم لكتابته أن يكتبوه ، وكان القرآن يكتب في أول الأمر ولا يكتب غيره ، ففي حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه)[٥] ،فكان يكتب **في العُسُب** – جمع عسيب ، وهو ج يد ا نخل يكشطون الخوص ويكتبون في الطر العرض - ، وفي **اللخاف** – جمع فة ، وهي الحجارة الرقاق ، وقيل هي الخزف ، وهو ا طين ا شوي - ، وفي **الأكتاف** – جمع تف ، وهو العظم إذا جف كتبوا فيه - ، وفي **الأقتاب** –جمع قَتَب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه - ، وفي **الرقاع** – جمع رعة ، وتكون من جلد أو ورق أو كاغد - . بالإضافة إلى حفظه في صدور الرجال ، منهم من جمع كله در وهم ال راء

---

(١) أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ٢٣/٩ ح ٤٩٩١و٤٩٩٢ ، ومسلم ١/ ٥٦٠-٥٦٣ ح ٨ ٨١ و ٨٢١.

(٢) أنظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢/١٦٨، وذكر السيوطي في تدريب الراوي ٢/١٨٠ أ ن رواته من الصحابة بلغوا سبعة وعشرين .

(٣) أنظر الصحيح مع الفتح ٩/٨-٩ ، ح٤٩٨٤.

(٤) أنظر الفتح ٩/٩، وذكر معان أخر حمل قول عثمان رضي الله عنه عليها.

(٥) أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٨-٢٢٩٩ ح ٣٠٠٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الصحابة ، ومنهم م حفظ الآيات والسور منه ، وذكر أن عليا رضي الله عنه كان أو من ع القر ن يحفظه في در كله ، وقيل عمر رضي الله عنه[(١)] .

وفي أحاديث متفرقة في الصحيحين أن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأباالدرداء وأبازيد أحد عمومة أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ؛ كل ؤ ء رضي نهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)] ،وورد عن عبدالله بن عمرو ر الله عنهما أنه جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم[(٣)] .

فكان القرآن مفرقا في ذلك ، ومات صلى الله عليه وسلم وهو كذلك،قال زيد بن ثابت رضي نه : (قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شئ)[(٤)] .

جمع القـ آ ن :

أمر أبوبكر رضي الله عنه بجمع القرآ ن برأي من عمر رضي الله عنه لم يزل يراجع فيه أبا بكر حتى شرح الله صدر أبي بكر له وكان يمتنع أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حين استحر القتل يوم اليمامة بالقراء فخشوا إن استحر القتل بالقراء ا واط أ ن ذهـ كثير م لقرآ ن، فكلف أبوبكر زيد بن ثابت أن يتتبع القرآن فيجمعه ، فجمعه زيد من مواضعه المكتوبة ومن صدور الرجال ، فكانت ا صحف ع د أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم[(٥)] .

وقد كان زيد يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع هذا كان لا يكتب آية عند الجمع الذي أمره به أبوبكر إلا بشاهدي عدل ، إلا آخر آية من سورة براءة لم يجدها إلا مع أبي خزيمة بن ثابت، فكتبها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادة بشهادة رجلين[(٦)] .

---

(١) أنظر المصاحف لابن أبي داود ١٠-١١.

(٢) أنظر : صحيح البخاري مع الفتح ٩/٤٧ ح ٥٠٠٣ و ٥٠٠٤ ، وصحيـ مسلم ٤/ ١٩١٣-١٩١٤ رقم ٢٤٦٤ و ٢٤٦٥.

(٣) أنظر المسند ١١/٦٧ و ٤٥٩ رقم ٦٥١٦ ، ٦٨٧٣.

(٤) ذكره ابن حجر عن فوائد الديرعاقولي ، الفتح ٩/١٢.

(٥) أنظر صحيح البخاري – مع الفتح – ٩ / ١٠-١١ ح ٤٩٨٦.

(٦) أنظر ا جع اسابق ، والإتقان ٢/٣٣٧٧-٣٨٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولما جمع القرآن فكتبوه في الورق ، قال أبوبكر رضي الله عنه : (التمسوا لها اسما)، فقال بعضهم : (سموه الإنجيل) ، فكرهوه ، وقال بعضهم : (سموه السفر)،فكروه من يهود ، فقال ابن مسعود رضي الله عنه : (رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف) فسروه به [1].

وفي إطلاق اسم المصحف تفريق بين الصحف المكتوب فيها وبين القرآن المكتوب الذي هو كلام الله ، وفيه حفظ لفظ (القرآن) من أن ينسب لغير المنزل بأن يقال – مثلا - : قرآن ابن مسعود ، وقرآن أبي ، بدل مصحف ابن مسعود ، ومصحف أبي ، أو أن يقال : في قرآن فلان خطأ يراد مصحفه ، ولقد استعمل بعض الطاعنين في القرآن من المستشرقين هذا الاستعمال للطعن والتلبيس ، فقد عثر " الفونس منجانا " و " آجنس سميث لويس " على أوراق من مصاحف قديمة ، فنشراها بعنوان : " أوراق من ثلاثة قرآنات قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني مع قائمة بما فيها من اختلافات "[2].

ولما توسعت الدولة الإسلامية بالفتوح في عهد عثمان رضي الله عنه ، وانتشرت الصحابة في الأمصار كل بما معه من القرآن ومما تلاه من قراءاته ، وبما كان فيه من سمع قراءة لم يسمع غيرها فهو يقرأ بها وينكر غيرها من القراءة التي لم يسمعها ولم تروله ، فحدث اختلاف بينهم رضي الله عنهم في القراءة ، وهم مع هذا في أمصار حديثة عهد بإسلام ، ومنهم تعلم القرآن ،فخشي عثمان رضي الله عنه من اختلاف الناس في القراءة فأمر بجمع الناس على مصحف واحد أمر بجمعه ونسخه في مصاحف بعثها في الأمصار ، وأمر بما سواها أن يحرق .

روى البخاري عن أنس : (أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ،

---

(١) أنظر الإتقان ٢/٣٤٤.

(٢) أنظر مقالة (مشروع الجمع الصوتي الأول للقرآن) لعبد الرحيم شراقي ، في مجلة الفيصل – عدد ٢٩٥- الصفحات ٤٥-٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من لقرآ ن في كل يفة و م حف أ ن رق)[(١)].

ثم تواتر النسخ من مصحف عثمان رضي الله عنه على الأزمنة حتى وصل إلينا .

وقد زعم الحاكم أبو عبدالله صاحب المستدرك أن القرآن جمع أولا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه أخرج حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع)[(٢)]،ثم ال : (فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث هو ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان)[(٣)] ، وقا في م ض آخر : (فيه الدليل الواضح أ القرآ إ ا جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[(٤)] ، ولكن الصحيح ما تقدم نقله من المروي عن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجمع القرآن في شئ ، وقد أخرج البيهقي حديث زيد هذا الذي أخرجه الحاكم وفهم منه أن الجمع كان أولا في هد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : (إنما راد – والله أعلم – تأليف مانزل من الآيات المتفرقة في سورتها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت مثبتة في الصد ر ، مكتوبة في الرقاع واللخف والعسب ، فجم ت منها صح إشا ة أبي بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، ثم نسخ ماجمع في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على مارسم المصطفى صلى الله عليه وسلم)[(٥)].

تأليف لقرآ ن:

---

(١) الصحيح مع الفتح ١١/٩ ح ٤٩٨٧.

(٢) استدركه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي – المستدرك ٢٢٩/٢و٦١١ ،وقد أخرجه أحمد ١٨٥/٥ ، والترمذي ٦٩١/٥ ، وهو في الصحيحة ٥/٢ .

(٣) المستدرك ٢٢٩/٢.

(٤) المستدرك ٦١١/٢.

(٥) الشعب ١٩٧/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقصود بتأليف القرآن جمع آيات السورة الواحدة وترتيبها فيها ، و ع السورمرتة في المصحف .

فالأو ل : وهو ترتيب آيات كل سورة في محلا ا من ا سورة ، فهذا توقيفي ، ه م الله عز وجل ، وعلى هذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل إلينا على ماهو عليه بين أيدينا الآن ، وهذا موضع إجما عند أهل لعلم ،لاشبهة فيه[١] ، ومن أدلته : حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه - المتقدم - قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عثمان رضي عنه ال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينزل عليه الآيات فيقول : ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا)[٢]،وحديث أبي الدرداء مرفوعا : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وفي فظ : (من ق أ ا عشر الأواخر من سورة الكهف)[٣] ، والأحاديث الصحيحة المشهورة في خواتيم البقرة ،وماثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم للسور في الصلوات ، وسماعه قراءة أبي موسى رضي الله عنه ، والأحاديث في هذا كثيرة جدا.

والثاني : وهو ترتيب السور في المصحف ، فقيل غير توقيفي بل هو من اجتهاد الصحابة رضي نهم ، ولذلك كان تأليف مصاحف الصحابة رضي الله عنهم متغاير ، فمصحف علي – مثلا – على النزول ؛ أوله اقرأ ثم المدثر ثم القلم ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير ... وهكذ إ آخره ، ومصحف ابن مسعود يبتدأ بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، والترتيب الذي عليه المصحف الآن هو ترتيب مصحف عثمان رضي الله عنه الذي ب ثه في الأمصار[٤] .

وقيل : بل ترتيب السور توقيفي وهو الترتيب الذي بلغنا وهو عليه الآن ، واسـُدل لذلك بحديث أوس بن أبي أوس رضي الله عنه قال : (كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف

---

(١) أنظر ا تقان ٢/٣٩٤.

(٢) أخرجه أحمد١/٥٧و ٦٩ح٣٩٩، أبوداود ١/ ٣٤٩-٣٥٠ح ٧٨٦و٧٦٧، والترمذي ٥/١٦٦-١٦٧ح٣٠٨٦، وصححه ابن حبان – الإحسان ١/٢٣٠-٢٣١ح٤٣، والحاكم ٢/٢٢١ ووافقه الذهبي ، وقد ضع ه الألبا الضعي ة رقم ٧٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٣/١٢٣٦ح ١٦١٧.

(٤) أنظر ا تقان ٢/٤٠٥ ومابعدها ، وانظر فتح الباري ٢/٢٥٩و٩/٣٩ و٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

) فذكر الحديث وفيه : (فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طرأ علي حزبي من القرآ ف رد ت لا خرج ح أقضيه" ، قال : فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا : كيف تحزبون القرآن ؟ ، قالا نح به ث ث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من [ق] حتى نختم)[1] ، قال ابن حجر بعد استشهاده للتوقيف بهذا الحديث : (فهذا يدل على أن ترتيب السور على ماهو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة ، بخلاف ما عداه فيحتمل أن يكون كان تقديم وتأخير ، كما ثبت من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران)[2].

بعض خصائص القرآن :

اختص الله كتابه القرآن بما لم يجعله لكتاب من كتبه قبله ، ومن أهم هذه الخصائص:

كونه مهيمنا على مابين يديه من الكتاب:

قال الله عز وجل : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ } (المائدة: من الآية٤٨) ، ومعنى (مهيمنا) : مؤتمنا شهيدا ، والهيمنة : القيام على الشئ والرعاية له . وقد اتفق السلف كلهم على هذا المعنى ؛ أن القرآن هو المؤتمن الشاهد على مابين يديه من الكتاب .

وهيمنة القرآن على الكتب قبله من وجوه منها :

١- أنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالات المرسلين ، وشهد بصدقها.

٢- زاد ذلك بيانا وتفصيلا ، وبين الأدلة والبراهين عليه.

٣- جادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين.

٤- بين عقوبات الله للمكذبين بالكتب والرسل ، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦/ ٨٨-٨٩ح١٦١٦٦، وأبوداود ٢/٧ ح ١٣٩٣ ، وهو في الضعيفة رقم ١٣٩٣.

(٢) الفتح ٩/٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- بين مافعله أهل الكتاب بكتابهم ، وماحرف منها ومابدل وماكتم ، وحكم بكذب ما حرف .

٦- قرر الشرائع الكلية التي بعث بها لرسل كلهم .

٧- حكم بإقرار بعض التشريعات ونسخ ما نسخه منها.

فهو في الجملة (شاهد في الخبريات ، حاكم في الأمريات).

تكفل الله بحفظه :

قال الله : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر:٩) ، وسبب تكفل الله بحفظه: الأول: أنه تعالى ابتلى عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها . الثاني: أن القرآن هو معجزة الرسالة المحمدية ودليل صدقها فلابد أن يبقى بنصه كي يبقى إعجازه ، وهو تاب عتها ومنهاجها ، وهي الدين الذي يريده الله من خلقه إلى قيام الساعة ، فلابد أن يبقى بنصه كي يبقى حكمه بمراد الله من خلقه.

ولحفظ القرآن ثلاث جهات :

- **حفظ لفظه** ، وهذا بحفظه في النطق وفي التدوين.

أما حفظ في النطق ؛ فمعناه بقاؤه محفوظا في الصدور متلوا بالألسن على هيئته لاتبديل فيه. وفي تسميته (قرآنا) إشارة إلى ذلك ، لأنه مراعا في تسميته بذلك كونه متلوا .

وحفظ الله له في النطق أمر ظاهر بين ، فحفاظ القرآن منذ الصدر الأول حتى يومنا هذا لايحصون ، ونظر كتة طبقا الراء تنبهك إلى طرف من ذلك ، وإلى عناية المسلمين في كل مكان هم فيه على مر العصور حتى يومنا هذا بحلق تحفيظ تحفيظ القرآن والاحتفاء بذلك .

أما حفظه في التدوين ؛ فمعناه بقاؤه محفوظا في السطور مخطوطا بالأقلام على هيئته لاتبديل فيه ، وفي تسميته (كتابا) إشارة إلى ذلك ، لأنه مراعا في تسميته بذلك كونه مكتوبا ، ومعلوم أن الاسم ملازم لمسماه.

وحفظه في التدوين ظاهر ، ابتدأ منذ تدوينه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال (اكتبوا القرآن ، ولاتكتبوا شيئا سوى القرآن ، ومن كتب شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سوى القرآن فليمحه) -كما تقد البـ ان -، ثم جمع أبي بكر له ، ثم استنساخ عثمان له ، وبقاؤه إلى اليوم تملأ نسخه الآفاق.

- **حفظ معنيه** ، فمعناه حفظ شرائعه العلمية والعملية على مراد الله من عبـ ده بلا تبد ل فيها ،وفي تسميته فرقانا إشارة إلى ذلك ، لأنه مراعا في تسميته به كون شرائعه تفر بـ الحق والباطل .

وحفظ معانيه ظاهر في جهتين : الأولى :حفظ دلائل ظاهر نصه ذاته،وقد يسره الله للذكر كما قال سبحانه : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } (القمر١٧ و٢٢و٣٢ و٤٠) ، وأخبر أنه أنزله ليدبر الناس آياته التي يقرؤونها ، فهو ميسر للفهم معانـه ، قال عالى : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } (ّ :٢٩) – وتيسير القرآن للذكر من خصائصه وسيأتي الكلام فيه - . الثانية : حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم المبينة له بالتفصيل والتخصيص والتقييد وتعيين الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك مما هو تفسير للقرآن وتفصيل لشرائعه ، وحفظ الله سنة نبيه ظاهر بين لا خفاء فيه ، فقد جعل الله لهذه الأمة خصيصة لم تكن لأمة قبلها في تلقي كلام الأنبياء وهي (الإسناد) ، وقد درج أهل الحديث على دقة النقد للروايات من جهتين : من جهة السند ، ومن جهة المتن . ثم هم يبـ ث ن السند من جهتين : من جهة أفراد رواته ، ومن جهة مجمل السند . وفي بحثهم في أفراد الرواة يرصدون أمرين : معرفة عين الراوي ومعرفة حاله ، وفي معرفة عينه يرصدون ضبط اسمه وكنيته ولقبه ونسبه ومحال لادته إقامته وتنقله وما قام به من فات فا قة كالـ رج واعمش الـ ور والعمى ونحو ذلك ، وفي معرفة حاله يرصدون عدالته و منزلة حفظه وضبطه. و ثهم مجمل السند يرصدون أمرين : اتصاله بسماع الرواة بعضهم من بعض ، وحال تلقي الرواة بعضهم عن بعض ، فقد يكون السند متصلا برواية عدول حفاظ ضابطون ولكن فيهم من روى بالعنعنة وهو معروف في طبقة من طبقات المدلسين ، وقد يكون السند متصلا بسماع رواة عدول حفاظ ضابطون يحدث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعضهم عن بعض إلا أن فيهم من سمع من شيخه حال اختلاطه ، و بحثهم في المتن رصدوا مااتفق عليه الرواة ، وما اختلفوا فيه ، وما انفردو به ، وماشذوا فيه. وهكذا

درجوا على دفع الثقة بالرواية بأدنى علة يرصدونها ، وقيدوا قبول الرواة والروايات بقيود ثقال تدفع أدنى ريبة ، وتوجب الثقة التامة التي لا يخرمها شئ ، حتى ار العلم بما حكموا بثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في الـ قة القو كأنما عه كل من تلقاه على العصور من رسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم .

- **حف ه في اعـ ل به** : وهذا حفظه بأن يعمل بشرائعه - العلمية اعتقادا ، والعملية امتثالا - على مراد الله، وهذا يبينه قوله صلى الله عليه وسلم : (لن برح ذا الدين قائما ، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)[2].

ومن تمام تكفل الله بحفظ كتابه (القرآن) أن يرفعه إليه قبل يوم القيامة ، وذلك حين تمحي آثار الإسلام من الأرض فلا يكون فيها من يقول لا إله إلا الله ، فقد ع لنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ب و ثا ا شي وسريد يـ ماك لا سلاإلد يـ ، حتى لا يـ ر ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ،ولَيُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية)[3] ، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفا : (أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع ، قالوا : هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال ؟ ، قال : يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء)[4] ، وعنه رضي الله عـ ه مـ ق فا أيضا :(ليسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك لآية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٥٢٤ رقم١٩٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٣/١٥٢٤ رقم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٢/١٣٤٤ ح ٤٠٤٩ ، وصححه في الزوائد ٢/٣٠٧ رقم ١٤٢٩ ، والحاكم ٤/٤٧٣ و٥٤٥ ، ووافقه الذهبي ، وهو في الصحيحة رقم ٨٧.

(٤) أخرجه الدارمي ٢/٤٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

)[١]، ورفع القرآن هذا هو أحد وجهي رفع العلم الذي ورد في الحديث الصحيح أنه من أشراط الساعة[٢]، والوجه الآخر قبض العلماء ، والله أعلم .

تيسيره للذكر :

قال الله سبحانه : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } (القمر١٧ و٢٢و٣٢ و٤٠) ، ومعنى تيسيره للذكر :

- تيسير ألفاظه للحفظ ، فإن الكتب قبله لم تكن متيسرة الحفظ كتيسير حفظ القرآن، فلم تكن التوراة مثلا ميسرة للحفظ وذكر أنه لم يحفظها إلا نفر قليل من أنبياء بني إسرائيل لايتجاوزون عدأصابع اليد الواحدة ، ولهذا جاء في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة : (أناجيلهم في صدورهم) .
- وتيسير معانيه للفهم.
- وتيسير أحكامه للعمل بها .

ومن تيسير القرآن للذكر ماتقدم من أنه أنزل على سبعة أحرف ، وقد ورد أن هذا من خصائصه ، ففي المروع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان الكتاب ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف)[٣].

كونه هو المعجزة للرسالة :

قال صلى الله عليه وسلم : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[٤] ، وقد كانت معجزات الأنبياء تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ، فتأتي المعجزة دالة على صدق الوحي ، أما القرآن فهو نفسه الوحي والمعجزة معا ، فليس هو في

---

[١] الدارمي ٢/٤٣٨.

[٢] أنظر صحيح البخاري مع الفتح ١/١٧٨ح ٨٠ .

[٣] أخرجه أحمد ٧/٢٨٣ رقم ٤٢٥٢ وابن حبان في صحيحه – الإحسان ٢/٦٢-٦٣ رقم ٧٤٢ و الحاكم ١/٥٥٣ ووافقه الذهبي ، وهو في الصحيحة ٢/ ١٣٣ رقم ٥٨٧ ، وقال ابنحجر فيه في الفتح ٩/٢٩: (في تصحيحه نظر لانقطاعه).

[٤] أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ٩/٣ ح ٤٩٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاجة إلى دليل مغاير بل دليله في نفسه ، ولذلك كان أعظم معجزات الرسل وأوضحها وأقواها على صدق رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

و لحكمة ن كون القرآن هو ذاته معجزة الرسالة المتحدى بها ؛ أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة في الخلق إلى قيام الساعة ، لا رسالة بعدها للخلق ، بها ا قطعت الن وة والوحي ، وليس بعدها إلا انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، فلابد من أ يبق م ها دليل صحتها وهو الإعجاز المتحدى به لتبقى الحجة لها على الخلق ، فكان الوحي هو ذاته المعجزة لذلك ، يشهد به الخلق في كل عصر الشرعة ودليلها معا فتلزمهم الحجة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث : (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)تازجعم نإ ف الأنبياء تنقرض بانقراض أعصارهم فلا يشاهدها إلا من حضرها ، أما ا قرآ ن فم جزة مستمرة إلى قيام الساعة يخاطب الناس كلهم بها ،فإذا كانت معجزات الأنبياء الماضية حسية تشاهد بالأبصار فإن معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه صلى الله عليه وسلم لأجلها أكثر ، (لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا)[1].

ولهذا لم يكن إعجاز القرآن محصورا في لفظه وتحدي العرب به - وهم الذين خوطبوا به أول الأمر – فحسب ، بل إ ن (الإعجا معنا أ ظم وكثر م الإعجا لفظه ، وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه)[2] ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه للناس شئ من إعجاز القرآن تلزمهم به الحجة ،قال ابن تيمية : (كل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ، ولا تناقض في ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له)[3].

وكون القرآن هو معجزة الرسالة أقوى داع لتكفل الله بحفظه – كما ت دم - ، ح لا تكون للناس حجة في دعوى تبديل أو تح يف .

---

(١) م بين الق سين في الفتح ٩/٧.

(٢) مابين القوسين عبارة ابن تيمية في الجواب الصحيح ٤/٧٨.

(٣) حيحصلاباوجلا ٤/٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات

المـــوضـــوع **الصفحة**

المراد بالكتب ....

المراد بالإيمان بالكتب ....

تسميات الكتب ....

حكم الإيمان بالكتب ....

منزلة الإيمان بالكتب من الدين ....

الحكمة من إنزال الكتب ....

الواجب على العباد لكتب الله ....

صفة الإيمان بالكتب الواجب على العبد ....

الإيمان بكتب الله جملة من غير تفريق بينها ....

اتفاق كتب الله في الملة والأصول وتنوع شرائعها ....

كتب الله منزلة منه على رسله ....

نوعا اختلاف الخلق في تنزيل الكتب ....

عدد كتب الله ....

التوراة ....

مع اسم (التوراة) وأصل اشتقاقه ....

صفة نزول التوراة ....

وقت نزول التوراة ....

هل بـ التور ة والألو ح والصحـ ف ق ؟..

محتويات التوراة ....

الزبور ....

معنى الاسم وزمن النزول والمحتويات ....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنجيل .....
معنى الاسم وزمن النزل والمحتويات .....
صحف إبراهيم عليه السلام .....
تحريف ا توراة و لإنجيل .....
اختلاف أهل العلم في صورة تحريف أهل الكتاب كتابهم .....
الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل .....
طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب وأحكامها .....
التحديث عن بني إسرائيل .....
هل للمجوس كتاب ، وماكتابهم إن كانوا أهل كتاب ؟ .....
القرآن الكريم .....
معنى لفظ (القرآ ن) واشتقاقه .....
صفة نزوله وكتابته.....
جمع القـ آ ن .....
تأليف لقرآ ن .....
بعض خصـ ئص الـ رآ ن .....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com